الموضـــوع	الصفحة
كلمـــة أخيـــرة	٤٨
نداء إلى علماء الإسلام	٥٠
الخاتمـــة	٥٢
فهرس المراجع	٥٤
فهرس الموضوعات	٥٦

الوسوســة والإيمــان

دكتور

جميل إبراهيم السيد الشرقاوى

مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم
مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم أجمعين ، وبعد :

من أجل نعم الله تعالى على عباده المؤمنين ، بعد نعمة الدين ، أنه لم يجعل لأحد من خلقه ، سلطاناً على عباده المؤمنين ، فالله تعالى قد سد جميع منافذ الشيطان كي لا يصل إليهم ، وقد بين تعالى ، وبين رسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم - ، ما يفعله المؤمن حيال وسوسة الشيطان ، وإبطال مكره.

وهذا البحث المتواضع ، يبين بعض الأمور المتعلقة بهذا الموضوع ، من حيث : عموم وشمول علمه تعالى ، وعلمه لما يدور في النفس الإنسانية ، ومؤاخذته تعالى أولاً لعباده على أحاديث النفس ، ثم عفوه عنهم ، وعدم مؤاخذتهم عليه ، بل بالمجازاة بالخير ، ما لم يخرج الإنسان ذلك من دائرة القول أو الفعل .

ويبين كذلك : خواطر النفس ، ووساوس الشيطان في الأمور الاعتقادية ، ودرجاتها ، وحكم كل درجة وكيفية التوقي منها . ثم حكم الشك في المسائل الإيمانية ، والرد عما يوهم ورود الوسوسة أو الشك في حق الأنبياء - عليهم السلام - وكذلك الرد على القائلين بوجوب الشك ، وكونه أول الواجبات على الكلف .

وبعد :

فإن كنت قد وفقت ، فالحمد لله رب العالمين ، وإن كانت الأخرى: فمن نفسي ، واستغفر الله ، وحسبي أنني بشر بذلت ما في وسعي ، وإنني ألتمس من أساتذتي وزملائي التقويم .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً لصالح الأعمال ، وأن يبعد عنا وساوس الشيطان ونزغاته ، وأن يثبتنا على الإيمان الذي رضيه سبحانه وتعالى .

وصل اللهم على سيدنا محمد ، النبي الأمي ، وعلى آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين .

دكتور
جميل إبراهيم الشرقاوي
مدرس بقسم العقيدة والفلسفة

بسم الله الرحمن الرحيم

شمول علمه تعالى :

الله تعالى متصف بالعلم ، وعلمه تعالى علم كشف وإحاطة وشمول . فهو سبحانه يعلم جميع الواجبات والجائزات والمستحيلات ، علماً تاماً لا يسبقه خفاء أو جهل ، ما كان ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً .

يقول سبحانه : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (١)، وقال : ﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من أسر القول أو جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ (٢) وقال: ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير﴾ (٣) وقال:﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾(٤) .

ومن إحاطة وشمول علمه تعالى ، أنه يعلم ما يدور في خلجات النفس وخواطرها . وقد بين الله تعالى ذلك في كثير من آياته ، منها قوله تعالى : ﴿ والله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور رحيم﴾ (٥) وقوله : ﴿ تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴾ (٦) وقوله ﴿ ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ (٧) وقوله : ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ (٨) وقوله : ﴿ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ (١) وقوله : ﴿ لقد رضى الله عن

(١) سورة الأنعام . آية ٥٩ .
(٢) سورة الرعد . الآيات ٨-١٠ .
(٣) سورة لقمان . آية ٣٤ .
(٤) سورة الحج . آية ٧٠ .
(٥) سورة البقرة . من الآية ٢٣٥ .
(٦) سورة المائدة . من الآية ١١٦ .
(٧) سورة إبراهيم . آية ٣٨ .
(٨) سورة الإسراء . من الآية ٢٥ .

إنه كان غفوراً رحيماً ﴾ (١) وقوله : ﴿ لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً ﴾ (٢) وقوله : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ (٣) .

مؤاخذته تعالى بأحاديث النفس أولاً :

إذا كان الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، ويعلم خواطر النفس ، فقد أنزل الله تعالى أنه يحاسب الناس عما يدور في أنفسهم من خير أو شر ويؤاخذهم عليه . فقال : ﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (٤) وعندما نزلت هذه الآية ، شق ذلك على نفوس الصحابة – رضوان الله عليهم – مما جعلهم يذهبون إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ، يشكون إليه عظم ما ألقى على أعناقهم . فقد روى الإمام مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : (لما نزلت على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾ قال : فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، فأتوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثم بركوا على الركب ، فقالوا : أي رسول الله !، كلفنا من الأعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة . وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها . قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قالوا : سمعنا وأطعنا ؟ غفرانك ربنا وإليك المصير . قالوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير . فلما اقترأها القوم ، ذلت بها ألسنتهم . فأنزل الله في إثرها : ﴿ آمن الرسول بما أنزل عليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من

(١) سورة الفرقان ، آية ٦ .
(٢) سورة الفتح . آية ١٨ .
(٣) سورة ق . آية ١٦ .
(٤) سورة البقرة . آية ٢٨٤ .

رسـله وقـالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ [١] فلما فعلوا ذلـك نسـخها الله تعـالى ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسـعها لهـا مـا كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ﴾ قال : نعم ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلـنا ﴾ قـال: نعـم ﴿ ربـنا ولا تحملـنا ما لا طاقة لنا به ﴾ قال : نعم ﴿واعـف عـنا وأغفـر لـنا وارحمـنا أنـت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾[٢] قال : نعم) [٣]

ففي هذا الحديث الشريف صورة من رحمة النبي – صلى الله عليه وسلم – وشفقته بأمته ، والعمل على ما فيه صلاحهم في المعاش والمعاد ، وإرشـادهم إلـى عدم سيرهم على غي أهل الكتاب من قبلهم ٠ وأيضا : تخفيف الله تعالى لأمة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – ٠ فالآية الأولى تخبر بأن الله تعالى يحاسب على ما في النفس ، وعلى ما يخطر في القلب ، ولا يستطيع الإنسان أن يدفع عن نفسه هذه الأمور ٠ خاف الصحابة أن يهلكـوا لهـذا الأمـر ، وأخـبروا النبي – صلى الله عليه وسلم – أنهم لا يسـتطيعون ذلك ٠ ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – أخبرهم بأنهم لا يجب عليهم أن يكونوا كأهل الكتاب ، يأخذوا ويعملوا ببعض ما أمروا به ، ويـتركوا الـبعض ٠ ولا يقولوا كقولهم : (سمعنا وعصينا) ولكن حال المؤمـن ينبغي أن يكون دائماً متمثلاً بـ : (سمعنا وأطعنا) ، ويستغفروا الله تعالى عما يبدر منهم (سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير) .

بعد قراءة الصحابة لهذه الآية المباركة ، وبعد أن انصاعت قلوبهم ، ولانـت ألسنتهم ، بعد فترة نسخها الله تعالى – كما هو في ظاهر رواية هـذا الحديث – ، أنزل الله تعالى أنه لا يكلفهم إلا ما يطيقونه ويتحملونه ٠

(١) سورة البقرة ٠ آية ٢٨٥ .
(٢) سورة البقرة ٠ آية ٢٨٦ .
(٣) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبى هريرة – رضي الله عنه – كتاب الإيمان ٠ باب بيان أنه سبحانه وتعالى لا يكلف إلا ما يطاق ٠ حديث رقم ١٩٩-١٢٥ ٠ صحيح مسلم بشرح النووي حققه وفهرسه عصام الصبابطي وآخرون ٠ جـ١ ص ٤٢١ ، ٤٢٢ – ط. دار الحديث ٠ الطبعة الأولى ٠ سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م .

وهـذا مـن فضل الله تعالى على أمة نبيه – صلى الله عليه وسلم – ، بل أكـرم الله تعـالى هذه الأمة بإعطاء هذه الآيات ثواباً خاصاً لمن يقرأها ٠ يقـول – صلى الله عليه وسلم – : (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فـي ليلة كفتاه) [١] قيل : كفتاه من قيام تلك الليلة ٠ وقيل : كفتاه المكروه فيها .[٢]

درجات أحاديث النفس وعفوه تعالى عن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم – :

مظهـر آخر من مظاهر رحمة الله ومغفرته لعبادة المؤمنين ، فإذا كـان الله تعـالى قد عفا عن عباده ما يدور في النفس وما يخطر بالبال ، وأمتـن علـيهم بتجاوزه عن ذلك ، فإنه تعالى عاملهم بالفضل ، فحاسبهم بالحسنات عما يدور في أنفسهم إن كانت خيراً ، وبمغفرتها إن كانت شراً.

يقـول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إن الله تجاوز عن أمتي مـا حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) [٣] ويقول : (قال الله عز وجل : إذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها كتبتها له حسنة ، فإن عملها كتبتها عشر حسـنات إلى سبعمائة ضعف ٠ وإذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه ، فإن عملها كتبتها سيئة واحدة) [٤].

(١) رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عبد الله بن مسعود ٠ كتاب فضائل القرآن ٠ باب فضل سورة البقرة حديث رقم ٥٠٠٩ ٠ فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام ابن حجر العسقلاني ٠ تحقيق محب الدين الخطيب ٠ ط. دار الريان ج٨ ص٦٧١ ٠ الطبعة الثالثة ٠ سنة ١٤٠٧هـ .
(٢) شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ٠ ج١ ص٤٣٠ .
(٣) رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبى هريرة ٠ كتاب الطلاق ٠ باب الطلاق في الإغلاق والكره والسكران ٠ حديث رقم ٥٢٦٩ ٠ الفتح ج ٩ ص٣٠٠ .
(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبى هريرة ٠ كتاب الإيمان ٠ باب إذا هم العبد بحسنة كتبت ، وإذا هم بسيئة لم تكتب ٠ حديث رقم ٢٠٤ ج١ ص٤٢٤ .

ويقـــول : (قال الله عز وجل : إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة ، فأنـــا أكتـــبها له حسنة ما لم يعمل ٠ فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها ، وإذا تحـــدث بـــأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها ، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها ٠ وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت الملائكة: رب ! ذاك عـــبدك يريد أن يعمل سيئة (وهو أبصر به) فقال : ارقبوه ، فـــإن عملها فاكتبوها له بمثلها ، وإن تركها فاكتبوها له حسنة ، إنما تركها من جراي) [١].

ويقول : (إن الله كتب الحسنات والسيئات ، ثم بين ذلك ٠ فمن هم بحســـنة فلـــم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها ، كتـــبها الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف ، إلى أضعاف كثيرة ، ومـــن هم بسيئة فلم يعملها ، كتبها الله عنده حسنة كاملة ، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة) [٢].

إذا كانـــت هذه بعض الأحاديث الدالة على حسن عطاء الله وفضله علـــى عـــباده المؤمنين ، فإن أحاديث النفس على درجات ، وليست على درجـــة واحـــدة ٠ ويجازي الله تعالى عنها بالخير ، إن كانت في خير ٠ ويـــتجاوز عنها إن كانت في الشر ٠ ويمكن بيان أحاديث النفس من خلال الرسم التالي :

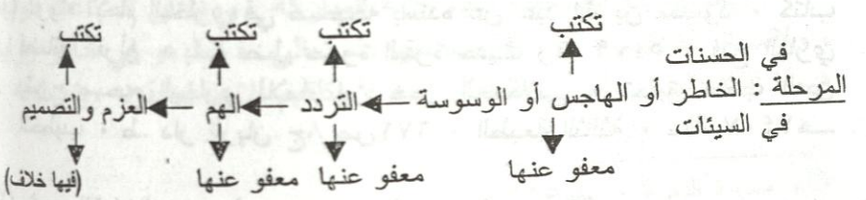

(١) الموضع السابق عن أبى هريرة حديث رقم ١٢٩/٢٠٥ .
(٢) رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس ٠ كتاب الرقاق ٠ باب من هم بحسنة أو سيئة ٠ حديث رقم ٦٤٩١ ج١١ ص٣٣١ .

ويمكن أيضا أن نمثل لأحاديث النفس بنسبة مئوية هكذا [١]:

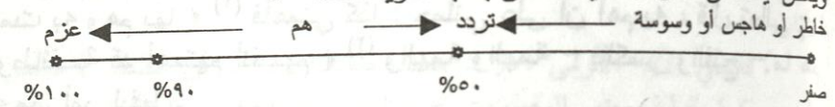

وبيان ذلك : أن ما يرد على القلب قد يكون :

١- **الخاطر أو الهاجس أو الوسوسة** : وهذا لا يستقر في القلب ، بـــل يرد ويذهب ٠ وهذه المرحلة إذا كانت في الحسنات ، رجونا أن تكتب حســـنة بفضل الله تعالى وحسن عطائه ٠ وإذا كانت في السيئات فهي في دائرة العفو .

٢- **الـــتردد** : قد يخطر الشيء في النفس ، فيهم به ثم ينفر عنه ، فهـــو يتردد بين العزم عليه ، وبين عدم العزم ٠ ويسمى التردد ٠ فهو لا يســـتمر على قصد الشيء ، ولا على تركه ٠ فالأمران متساويان عنده ٠ وهذه المرحلة في المجازاة على فعل الحسنات والسيئات كسابقتها .

٣- **الهـــم** : قد يكون ما يرد في القلب ، ترجيح قصد الفعل على الـــترك ، ويســـمى بالهم ، وهي مرحلة تلي المراحل السابقة ، حيث يميل الإنســـان إلـــى الشـــيء ، والرغـــبة في فعله ، وعدم النفور عنه ٠ وهذه المرحلة تأخذ حكم سابقتها في المجازاة على فعل الحسنات والسيئات .

وهذه المرحلة - باعتبار أنها واردة في الحديث - تحتاج إلى شيء من التفصيل فنقول :

الهـــم فـــي اللغة : يقال : هم بالشيء يهم هماً : نواه وأراده وعزم عليه ٠ والهَمة والهِمة : ما هم به من أمر ليفعله ٠ وتقول : إنه لعظيم الهم ، وإنه لصغير الهمة .[٢]

(١) راجع : فتح النعم شرح صحيح مسلم ٠ لأستاذنا الدكتور/ موسى شاهين لاشين - نفع الله المسلمين بعلمه ٠ ج٢ ص١٤٩ ط. مطبعة الفجر الجديد ٠ بدون .
(٢) راجع : لسان العرب ٠ جمال الدين ابن منظور ج٦ ص٤٧٠٢ وما بعدها ٠ ط. دار المعارف ٠ بدون .

ويذكر صاحب البصائر : هم به : قصد • قال تعالى : ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ (١) فأهمني كذا : حملني على أن أهم به ، قال تعالى : ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ (٢) والهمة والهمة – بالكسر والفتح –: ما هم به من أمر ليفعل.

قال المحققون : الهمة : فعلة من الهم ، وهو مبدأ الإرادة ، ولكن حصولها بنهاية الإرادة ، والهم مبدؤها والهمة نهايتها.

قال الشيخ عبد الله الأنصاري : الهمة : ما يملك الانبعاث للمقصود صرفاً لا يتمالك صاحبها ولا يلتفت عنها . (٣)

وقد ورد ذكر الهم في القرآن الكريم في ثمانية مواضع وهي : قوله تعالى : ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ (٤) وقوله : ﴿وطائفة قد أهمتهم أنفسهم﴾ (٥) وقوله : ﴿ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك﴾ (٦) وقوله : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم ...﴾ (٧) وقوله : ﴿ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول ...﴾ (٨) وقوله : ﴿يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا...﴾ (٩) وقوله : ﴿ولقد همت به وهم بها﴾ (١٠) وقوله : ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه....﴾ (١١) وهذه الآيات القرآنية تدل أن هذه الأمور كانت في دائرة أحاديث النفس ، ولم

---

(١) سورة يوسف • من الآية ٢٤ .
(٢) سورة آل عمران • من الآية ١٥٤ .
(٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز • مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ت ٨١٧هـ • تحقيق أ. عبد العليم الطحاوي • ج٥ ص٣٤٥ ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية • سنة ١٤١٢هـ ١٩٩٢م .
(٤) سورة آل عمران • من الآية ١٢٢ .
(٥) سورة آل عمران • من الآية ١٥٤ .
(٦) سورة النساء • من الآية ١٣٣ .
(٧) سورة المائدة • من الآية ١١ .
(٨) سورة التوبة • من الآية ١٣ .
(٩) سورة التوبة • من الآية ٧٤ .
(١٠) سورة يوسف • من الآية ٢٧ .
(١١) سورة غافر • من الآية ٥ .

تخرج إلى دائرة القول أو الفعل • ولنستدل على هذا بتفسير آيتين من هذه الآيات :

ففي الآية الأولى : ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ فالمراد بالهم – كما يقول بعض المفسرين – : الهم ، أو الفكر ، أو أحاديث النفس ، أو ما ينطبع في أنفسهم من كلام عن كثرة وعدد العدو . (١)

وفي آية سورة يوسف آراء كثيرة منها : أن المراد بالهم : هو القصد • وهم المرأة : هو قصد تحصيل اللذة والتنعم والتمتع • وهم سيدنا يوسف – عليه السلام – : هو القصد إلى زجر النفس عن المعاصي ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر • أو أن المراد – كما قال بعض علماء اللغة – : على التقديم والتأخير ، أي ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها • ويذكر البعض أن هذا كان من باب حديث النفس دون عزم ، كما يخطر ببال الصائم شرب الماء البارد ، أو تناول الطعام اللذيذ ، فإذا لم يأكل ، ولم يصمم عزمه ، لا يؤاخذ بما هجس في النفس. (٢)

وهذه المراتب الثلاث – الخاطر والتردد والهم – في الحسنات درجات ، حسنة الخاطر أقل من حسنة التردد التي تكون أقل من حسنة الهم . (٣)

٤- العزم والتصميم : يأتي بعد ذلك العزم والتصميم ، وهو أن يميل الإنسان إلى الشيء ، ويصمم على فعله ولا ينفر عنه .

والعزم : الجد ، عزم على الأمر يعزم عزماً ، ومعزَماً ، ومعزماً ، وعزيماً ، وعزْمة • واعتزمه واعتزم عليه : أراد فعله .

---

(١) راجع : التفسير الكبير • الإمام فخر الدين الرازي ت ٦٠٤هـ ج٨ ص ١٨١ • ط. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩٠م .
(٢) راجع : تفسير القرطبي • الجامع لأحكام القرآن • الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ج٩ ص١٠٩ وما بعدها • ط. دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م •• والتفسير الكبير ج١٨ ص٩٢ وما بعدها .
(٣) راجع : فتح المنعم ج٢ ص١٤٨، ١٤٩ .

وقال الليث : العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنت فاعله ، وعَزَمَ الأمر : عزم عليه ، وقد يكون عَزَمَ أرباب الأمر ، وإنما يعزم الأمر ولا يَعْزِم ، والعزم للإنسان لا للأمر . وإذا عزم الأمر : أي جد الأمر .(١)

وفي البصائر : عزم على الأمر : عقد قلبه على إمضائه ، وعزمه واعتزمه واعتزم عليه وتعزم : أراد فعله وقطع عليه ، أو : جد في الأمر . وعزم الأمر نفسه : عُزِمَ عليه . وعزم على الرجل : أقسم عليه . وأولوا العزم من الرسل : الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم .(٢)

ووردت مادة العزم في القرآن الكريم في تسعة مواضع : قوله تعالى : ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ (٣) وقوله : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ (٤) وقوله : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٦) وقوله : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ (٧) وقوله : ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٨) وقوله : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (٩) وقوله : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (١٠) وقوله : ﴿ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ (١١) . فمعنى العزم في الآيات الكريمة : عقد القلب على الشيء .(١٢)

---

(١) راجع : لسان العرب ج٤ ص٢٩٣٢ .
(٢) راجع : البصائر ج٤ ص٦٣، ٦٤ .
(٣) سورة البقرة . من الآية ٢٢٧ .
(٤) سورة البقرة . من الآية ٢٣٥ .
(٥) سورة آل عمران . من الآية ١٥٩ .
(٦) سورة آل عمران . من الآية ١٨٦ .
(٧) سورة طه . آية ١١٥ .
(٨) سورة لقمان . من الآية ١٧ .
(٩) سورة الشورى . من الآية ٤٣ .
(١٠) سورة الأحقاف . من الآية ٣٥ .
(١١) سورة محمد . من الآية ٢١ .
(١٢) أنظر مثلاً : التفسير الكبير ج٦ ص٧٠ ، ١١٤ . ج٩ ص١٠٥ . ج٢٢ ص١٠٧ .

وحكم هذه المرحلة في المجازاة على الحسنات بالحسنات ، وفي السيئات فيها خلاف بين مغفرتها وهو الأرجح ، وبين المؤاخذة بسيئة واحدة .

فمن رأى العقاب والمؤاخذة عليها ، استدل بالآيات التي تبين المؤاخذة على العزم على السيئات من حديث النفس كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ (١) فقد بينت الآية الكريمة أن من أحب إشاعة الفاحشة ، كمن شارك فيها . يقول الإمام الرازي مصوراً هذا الرأي : " إن من أحب ذلك فقد شارك في هذا العزم ، كما شارك فيه من فعله ولم ينكره . وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه ، كذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين ، كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم ".(٢)

وكمثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (٣) فبين تعالى أن من الظن ما يكون إثماً يجب التحرز عنه .

ومن رأي العفو وعدم المؤاخذة ، استدل بعموم الأحاديث الواردة في تجاوز الله عن أحاديث النفس ، ولا يؤاخذ الإنسان على ما دون القول أو الفعل من أعمال الجوارح ، بنص الحديث السابق : (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) وردوا على استدلال أصحاب الرأي الآخر ، ففي آية سورة النور مثلاً قالوا بأن الوعيد بالعذاب لمن أحب الفاحشة وأشاعها ، لا من أحبها فقط ، لأن هذا أمر لا يملك فلا مؤاخذة على ذلك .(٤)

---

(١) سورة النور . آية ١٩ .
(٢) التفسير الكبير . ج٢٣ ص١٥٩ .
(٣) سورة الحجرات . من الآية ١٢ .
(٤) راجع : فتح المنعم ج٢ ، ص١٥١ .

وقال الليث : العزم ما عقد عليه قلبك من أمر أنت فاعله ، وعَزَمَ الأمر : عزم عليه ، وقد يكون عَزَمَ أرباب الأمر ، وإنما يعزم الأمر ولا يَعْزم ، والعزم للإنسان لا للأمر ، وإذا عزم الأمر : أي جد الأمر .(١)

وفي البصائر : عزم على الأمر : عقد قلبه على إمضائه ، وعزمه واعتزمه واعتزم عليه وتعزم : أراد فعله وقطع عليه ، أو : جد في الأمر ، وعزم الأمر نفسه : عُزِمَ عليه ، وعزم على الرجل : أقسم عليه ، وأولوا العزم من الرسل : الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم .(٢)

ووردت مادة العزم في القرآن الكريم في تسعة مواضع : قوله تعالى : ﴿ وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ (٣) وقوله : ﴿ ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ﴾ (٤) وقوله : ﴿ فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (٥) وقوله : ﴿ وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٦) وقوله : ﴿ ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما ﴾ (٧) وقوله : ﴿ وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (٨) وقوله : ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ (٩) وقوله : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ (١٠) وقوله : ﴿ فإذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم ﴾ (١١) ، فمعنى العزم في الآيات الكريمة : عقد القلب على الشيء .(١٢)

---

(١) راجع : لسان العرب ج٤ ص٢٩٣٢ .
(٢) راجع : البصائر ج٤ ص٦٣، ٦٤ .
(٣) سورة البقرة ، من الآية ٢٢٧ .
(٤) سورة البقرة ، من الآية ٢٣٥ .
(٥) سورة آل عمران ، من الآية ١٥٩ .
(٦) سورة آل عمران ، من الآية ١٨٦ .
(٧) سورة طه ، آية ١١٥ .
(٨) سورة لقمان ، من الآية ١٧ .
(٩) سورة الشورى ، من الآية ٤٣ .
(١٠) سورة الأحقاف ، من الآية ٣٥ .
(١١) سورة محمد ، من الآية ٢١ .
(١٢) أنظر مثلاً : التفسير الكبير ج٦ ص٧٠ ، ١١٤ ، ج٩ ص١٠٥ ، ج٢٢ ص١٠٧ .

وحكم هذه المرحلة في المجازاة على الحسنات بالحسنات ، وفي السيئات فيها خلاف بين مغفرتها وهو الأرجح ، وبين المؤاخذة بسيئة واحدة .

فمن رأى العقاب والمؤاخذة عليها ، استدل بالآيات التي تبين المؤاخذة على العزم على السيئات من حديث النفس كقوله تعالى : ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ (١) فقد بينت الآية الكريمة أن من أحب إشاعة الفاحشة ، كمن شارك فيها ، يقول الإمام الرازي مصوراً هذا الرأي : " إن من أحب ذلك فقد شارك في هذا العزم ، كما شارك فيه من فعله ولم ينكره ، وليعلم أن أهل الإفك كما عليهم العقوبة فيما أظهروه ، كذلك يستحقون العقاب بما أسروه من محبة إشاعة الفاحشة في المؤمنين ، وذلك يدل على وجوب سلامة القلب للمؤمنين ، كوجوب كف الجوارح والقول عما يضر بهم ".(٢)

وكمثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ (٣) فبين تعالى أن من الظن ما يكون إثماً يجب التحرز عنه .

ومن رأي العفو وعدم المؤاخذة ، استدل بعموم الأحاديث الواردة في تجاوز الله عن أحاديث النفس ، ولا يؤاخذ الإنسان على ما دون القول أو الفعل من أعمال الجوارح ، بنص الحديث السابق : (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم) وردوا على استدلال أصحاب الرأي الآخر ، ففي آية سورة النور مثلاً قالوا بأن الوعيد بالعذاب لمن أحب الفاحشة وأشاعها ، لا من أحبها فقط ، لأن هذا أمر لا يملك فلا مؤاخذة على ذلك .(٤)

---

(١) سورة النور ، آية ١٩ .
(٢) التفسير الكبير ، ج٢٣ ص١٥٩ .
(٣) سورة الحجرات ، من الآية ١٢ .
(٤) راجع : فتح المنعم ج٢ ، ص١٥١ .

تقسيم آخر لأحاديث النفس باعتبار الحكم والمصدر :

وأحاديث النفس هذه لها تقسيم آخر باعتبار الخير أو الشر والنفع أو الضر . فهي إما أن تكون محمودة ، وتدعو إلى الخير ، وحينئذ تسمى إلهاماً . وإما أن تكون مذمومة ، وتدعو إلى الشر ، وتسمى وسوسة .

والإلهام هو : ما يلقى في الروع بطريق الفيض . وقيل : ما وقع في القلب من علم ، وهو يدعو إلى العمل من غير استدلال بآية ولا نظر في حجة . وهو ليس بحجة عند العلماء إلا عند الصوفيين .(١)

والوسوسة هي : الصوت الخفي من ريح . والوسواس : صوت الحلي . والوسوسة والوسواس : حديث النفس يقال : وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواساً . والوسواس – بالفتح – : هو الشيطان ، وكل ما حدثك ووسوس إليك فهو اسم . ورجل موسوس : إذا غلبت عليه الوسوسة .(٢)

ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم التي تدل على نفث الشيطان للإنسان باسم الوسوسة أو النزغ ، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله .

والداعي إلى الخير له سبب ، والداعي إلى الشر له سبب . يقول الإمام الغزالي – رحمه الله – مبيناً بعض الأمور المتعلقة بهذا : " لأنوار القلب وظلمته سببان مختلفان : فسبب الخاطر الداعي إلى الخير يسمى ملكاً . وسبب الخاطر الداعي إلى الشر يسمى شيطاناً . واللطف الذي يتهيأ به القلب لقبول إلهام الخير يسمى توفيقاً ، والذي به يتهيأ لقبول وسواس الشيطان يسمى إغواء وخذلاناً " .(٣)

وهناك حديث للنبي – صلى الله عليه وسلم – يشير إلى هذا المعنى وهو : (قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إن للشيطان لمة (٤) بابن

(١) التعريفات : السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ ص٢٨ . ط. مصطفى البابي الحلبي . سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .
(٢) راجع : لسان العرب ج٦ ص٤٨٣٠، ٤٨٣١ .. وانظر : البصائر . ج٥ ص٢٠٨ .
(٣) إحياء علوم الدين . الإمام أبو حامد الغزالي . ج٣ ص٢٧ . ط. دار الحديث . القاهرة .
(٤) اللمة : النزل والقرب . والمراد به هنا : ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك .

آدم ، وللملك لمة . فأما لمة الشيطان ، فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق . وأما لمة الملك ، فإيعاد بالخير وتصديق بالحق . فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، فليحمد الله . ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم قرأ : (الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء) .(١)

أحاديث النفس في المسائل الإيمانية

علمنا أن الله تعالى بفضله وكرمه ، يتجاوز لعباده عن أحاديث النفس بمراتبها ، ما لم تخرج هذه الأحاديث إلى دائرة القول أو الفعل . ولكن إذا كانت هذه المراتب في دائرة العفو في الأمور العملية ، فهل تأخذ نفس الحكم في المجازاة في الأمور العلمية الاعتقادية ؟ بمعنى هل إذا عرض للإنسان هاجس أو تردد أو هم أو عزم في مسألة من مسائل الإيمان ، هل يعفى عنه فيها ، أم يجازى على ذلك ؟ .

نقول : إذا كانت المراتب السابقة في دائرة العفو في الأمور العملية ، فإن الإنسان مؤاخذ بها ومحاسب عليها إن قصدها في الأمور الاعتقادية ، لأن هذه المراتب وإن كانت من حديث النفس ، ولم تخرج إلى دائرة القول أو العمل قد تزلزل العقيدة ، التي يجب أن يكون عليها المؤمن . وهذا لبيان مكانة العقيدة ، ولبيان أنها يجب أن تكون متينة خالصة من الشوائب .

وهذه الدرجات لها حكم آخر من أول درجة وهي الهاجس أو الخاطر أو الوسوسة . مما يجب دفعها قدر الطاقة ، ولا يدخل في دائرة العفو إلا هذه المرحلة فقط . لذلك جاءت آيات القرآن الكريم تبين أن ما يلقيه الشيطان للإنسان هو من باب الوسوسة ، لا ما بعد ذلك . يقول تعالى : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ (٢) ويقول : ﴿ فوسوس إليه الشيطان ﴾ (٣) ويقول : ﴿ قل أعوذ برب الناس . ملك الناس . إله الناس . من شر

(١) قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب ، لا نعلمه مرفوعاً إلا من حديث أبي الأحوص . سنن الترمذي . أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . تحقيق الشيخ إبراهيم عطوة عوض . ج٥ ص٢١٩، ٢٢٠ ط. دار الحديث القاهرة .
(٢) سورة الأعراف . من الآية ٢٠ .
(٣) سورة طه . من الآية ١٢٠ .

الوسواس الخناس ، الذي يوسوس في صدور الناس ، من الجنة والناس) [١] ومثل الوسوسة أيضاً : الهمز ، وهمزات الشيطان : أي خطراته التي يخطرها بقلب الإنسان .[٢] يقول تعالى : ﴿ وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون ﴾ [٣] .

وكذلك جاءت استفسارات الصحابة ، ورد النبي – صلى الله عليه وسلم – متعلقة بهذه ، فضلاً عما عداها ، فقد (سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن الوسوسة ، قال : تلك محض الإيمان) [٤] وعن أبي هريرة قال : (جاء ناس من أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان) .[٥]

وعن أبي هريرة قال : (جاءه ناس من أصحابه ، فقالوا : يا رسول الله نجد في أنفسنا الشيء ، نعظم أن نتكلم به ، أو الكلام به ، ما نحب أن لنا الدنيا ، وأنا تكلمنا به ، قال : أو قد وجتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : ذاك صريح الإيمان) .[٦]

والصحابة – رضوان الله عليهم – لم يصرحوا بكيفية الوسوسة من الشيطان ، حتى إن بعضهم تمنى أن لو كان فحماً محترقاً خير من التحدث به ، فعن ابن عباس قال : (جاء رجل إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله : إن أحدنا يجد في نفسه يُعَرِّض بالشيء ، لأن

---

(١) سورة الناس .
(٢) لسان العرب ج٦ ص٤٦٩٩ .
(٣) سورة المؤمنون الآيتان ٩٧، ٩٨ .
(٤) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن عبد الله كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة من الإيمان وما يقوله من وجدها حديث رقم ١٣٣/٢١١ ج١ ص ٤٣٠ .
(٥) الموضح السابق حديث رقم ١٣٢/٢٠٩ .
(٦) رواه الإمام أبو داود في سننه ، كتاب الأدب ، باب في ورد الوسوسة ، حديث رقم ٥١١١ ج٤ ص٣٣١ ، ط. دار الحديث سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .

يكون حممة [١] أحب إليه من أن يتكلم به ، فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة) .[٢]

ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – بين لهم كيفية ذلك ، وكيفية التوقي منه ، فقال : (يأتي الشيطان أحدكم ، فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولنيته)[٣].

وفي رواية : (قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لا يزال الناس يتساءلون ، حتى يقال : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل : آمنت بالله) [٤]

وفي رواية : (قال الله عز وجل : إن أمتك لا يزالون يقولون : ما كذا ، ما كذا ، حتى يقولوا : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟)[٥].

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تبين لنا أن هذه الوسوسة التي تحدث في الإيمان ، قد يكون منشؤها من الشيطان ، أو من الإنسان .

ويبين النبي – صلى الله عليه وسلم – علاج وسوسة الشيطان وهو : أن يستعيذ بالله منه ، وينقطع عن الاسترسال في ذلك ، ويشغل نفسه بغير هذه الوسوسة ، فيلجأ إلى الله في دفعها عنه .

وبيان هذا العلاج ؛ لأن الشيطان إذا قام بالوسوسة ، فاستعاذ الإنسان منه ، ولجأ إلى الله تعالى ، كفاه الله شر هذه الوسوسة .

---

(١) الحمم : الرماد والفحم وكل ما احترق من النار ، وحمت الجمرة تحم – بالفتح – إذا صارت حممة ، ويقال أيضاً : حمم الماء أي صار حاراً ، وحمم الرجل : سخم وجهه بالحمم وهو الفحم ، لسان العرب ج٢ ص ١٠١٠ .
(٢) سنن أبي داود ، الموضع السابق ، حديث رقم ٥١١٢ .
(٣) رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة ، كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده حديث رقم ٣٢٧٦ ، الفتح ج٦ ص٣٨٧ .
(٤) رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان ، حديث رقم ١٣٤/٢١٢ ج١ ص٤٣١ .
(٥) رواه الإمام مسلم ، نفس الباب ، حديث رقم ١٣٦/٢١٧ ج١ ص٤٣٣ .

وبيان هذا العلاج ؛ لأن الشيطان إذا قام بالوسوسة ، فاستعاذ الإنسان منه ، ولجأ إلى الله تعالى ، كفاه الله شر هذه الوسوسة .

ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر كل ما سوى ما يوسوس به ، فكل شيء سوى الله تعالى ، وسوى ما يتعلق به ، يجوز أن يكون مجالاً للشيطان ، وذكر الله تعالى هو الذي يؤمن هذا ٠ ولا يعالج الشيء إلا بضده ، وضد جميع وساوس الشيطان ، ذكر الله بالاستعاذة ، والتبري عن الحول والقوة إلا بالله تعالى .[١]

ويبين أستاذنا الشيخ " دراز " – رحمه الله – كيفية التغلب على وسوسة الشيطان بعبارات بليغة فيقول : " ٠٠ وأما وسواس التشكيك فلا يقمعها سلاح الحجة ، ولا ترهبها المناوشة بالجدل ، بل ذلك مما يهيج شرها ، ويزيد من أخطارها ، بل إن مجرد الإصغاء إلى مثل هذه الخواطر ، وفتح باب المناقشة فيها ، يعد إذناً لها بالتردد والإلحاح على النفس ، فتنمو وتخصب ، وتتخذ نوعاً من الأسئلة لا يقف عند جواب ، بل كلما سد أمامه باب فتح باب : أحق ما تقول ؟ أموقن أنت ؟ ألا يجوز أن تكون مخدوعاً ؟ ٠ وهذا أسلوب عناد ومكابرة لا يخضع لمعقول ولا منقول ٠ ولا يقنع بمشاهدة ولا وجدان ٠ فمن أصغى إليه ، أفضى إليه إلى الحيرة والتشكيك في كل معلوماته ، واتهام عقله وحواسه " .[٢]

ويذكر الإمام الغزالي بعض أبواب وسوسة الشيطان ، وكيفية التوقي منها ٠ ومن هذه الأبواب : الغضب ، والشهوة ، والحسد ، والحرص ، والشبع من الطعام وإن كان حلالاً صافياً ، وحب التزين من الأثاث والثياب والدار ، والطمع في الناس ، والعجلة وترك التثبت في الأمور ، والبخل وخوف الفقر ، والتعصب للمذاهب والأهواء ، والحقد على الخصوم ، والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار ، والانشغال بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات ، وحمل العوام الذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى

(١) راجع : الإحياء ج٣ ص٢٨ .
(٢) المختار من كنوز السنة ٠ د. محمد عبد الله دراز – رحمه الله – ص٤٠٣ ، ٤٠٤ ٠ ط. دار الأنصار الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

وصفاته ، وفي أمور لا يبلغها حد عقولهم ، حتى يشككهم في أصل الدين ، وسوء الظن بالمسلمين .

يذكر الإمام كل هذه الأبواب ، ويبين كيفية العلاج ، ويكون ذلك بسد هذه المداخل وتطهير القلب من كل هذه الصفات المذمومة .[١]

أما إذا كانت الوسوسة من الإنسان فعلاجها يكون بإيراد الأدلة والحجج والبراهين على فساد هذه الوساوس ، وبيان ذلك : أن يعلم أن هذا الكلام باطل متهافت ؛ لأن الخالق تعالى واجب الوجود ٠ وجوده من ذاته ، ولا يحتاج في وجوده إلى غيره ٠ يستحيل أن يكون مخلوقاً ، وإلا لكان محتاجاً ناقصاً ٠ وسيأتي تفصيل ذلك في النقاط التالية .

يقول الإمام " ابن حجر " : " والفرق بينهما – أي وسوسة الشيطان ووسوسة الإنسان – أن الآدمي يقع منه الكلام بالسؤال والجواب ، والحال معه محصور ٠ فإذا راعى الطريقة وأصحاب الحجة انقطع ، وأما الشيطان فليس لوسوسته انتهاء ، بل كلما ألزم حجة زاغ إلى غيرها ، إلى أن يفضي بالمرء إلى الخيرة – نعوذ بالله من ذلك – " .[٢]

أنواع الوساوس في المسائل الإيمانية

بعد ما سبق يأتي سؤال وهو : قول النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما سئل عن الوسوسة قال : (٠٠٠ ذاك صريح الإيمان)[٣] أو (٠٠٠ تلك محض الإيمان)[٤] فهل الوسوسة هي محض الإيمان كما يفهم من ظاهر الأحاديث ؟ أم أن محض الإيمان أمر آخر ؟ .

(١) راجع : الإحياء ج٣ ص٣٢-٣٧ .
(٢) الفتح ٠ ج٦ ص٣٩٢ .
(٣) الحديث سبق تخريجه ٠ والصريح : المحض الخالص من كل شيء ٠ وصرح الشيء : خلص ، وكل خالص صريح ٠ لسان العرب ج٤ ص ٢٤٢٤ .
(٤) الحديث سبق تخريجه ٠ والمحض من كل شيء : الخالص ٠ وكل شيء خلص حتى لا يشوبه شيء يخالطه : فهو محض ٠ وفي حديث الوسوسة (ذلك محض الإيمان) أي خالصه وصريحه ٠ والمحض اللبن الخالص بلا رغوة ٠ راجع : لسان العرب ج٦ ص٤١٤٥، ٤١٤٦ .

نقـول : الإشارة في حديث النبي – صلى الله عليه وسلم – تحتمل الأمرين :

أما الأول : فإن الإشارة ترجع إلى اليقين والاطمئنان وعدم الشك ، ورفـض مـا يلقـيه الشـيطان في النفس ٠ وهذا ما جعلهم يرفضونه ، ويـتعاظمون الحديث فيه ، والنطق به ٠ وعلى هذا فاليقين والاطمئنان هو صـريح الإيمان ومحضه الخالص ٠ وينقل " ابن حجر " أن المراد بقوله : (ذاك صـريح الإيمان) أي علمكم بقبح تلك الوساوس ، وامتناع قبولكم ، ووجودكـم النفرة عنها دليل على خلوص إيمانكم ٠ فإن الكافر يصر على ما في قلبه من المحال ، ولا ينفر عنه .[1]

وأمـا الثاني : فإن الإشارة ترجع إلى الوسوسة ، أو إلى خواطر الـنفس ٠ ولكن أي أنواع الوجدانات السيئة التي تعتري المرء في المسائل الاعتقادية يقع عليها اسم الوسوسة المذكورة في الحديث النبوي .[2]

والتقسيم التالي يبين هذا :

الوجدانات السيئة في المسائل الاعتقادية على قسمين :

الأول : خطرة ٠ لأنها : –

١– تتعلق بالأصول .

٢– إيجاد شبهة في أصل من الأصول .

٣– لا تجد في النفس حلاًّ لها

٤– تستقر في النفس .

الثاني : وسوسة ٠ ولها حالات :

الأولى : ١– لا تتعلق بالأصول .

٢– لا تتعلق بإيجاد شبهة .

٣– لها حل في النفس .

٤– لا تستقر في النفس .

ولكنها تكون في بعض التفاصيل المتعلقة بالأصول .

الثانية : ١– تتعلق بالأصول .

٢– لا تتعلق بإيجاد شبهة .

٣– لها حل في النفس .

---

(١) الفتح ج١٣ ص٢٨٧ .

(٢) راجع : المختار من كنوز السنة ص٣٨٥ وما بعدها .

٤– لا تستقر في النفس .

الثالثة : ١– تتعلق بالأصول .

٢– تلقي بشبهة في أصل من الأصول .

٣– لها حل في النفس .

٤– لا تستقر في النفس .

وتفاصيل ذلك : أن ما يجده الإنسان في نفسه من الوجدانات السيئة في المسائل الاعتقادية ينقسم إلى قسمين .

القسم الأول : الخطر

وهـذا القسم مقيد بقيود : أن يتعلق بالأصول ، وأن يوحي بشبهة معيـنة توجـب الشك في أصل من أصول الدين ، وأن لا تجد النفس حلاً لهذه الشبهة ، بل وجدت من العقل تأميناً عليها ، وأن تستقر في النفس .

وهـذا القسـم مهلك ، يهدم بنيان العقيدة من أساسه ٠ ولا يسمى وسوسـة ، بـل يسـمى إغـواء وتضليلاً إن نسب إلى مصدره وفاعله ٠ ويسمى غياً وضلالاً إن نسب إلى مورده وقابله .

وهـذه القـيود لا تكـون إلا في من يبعد عن الله ، ويشرك به ، ويجعـل للشيطان سلطان عليه ٠ يقول تعالى : ﴿ إنه ليس له سلطان على الذيـن آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ٠ إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾ [1] .

القسم الثاني : الوسوسة

وهـو مـا لم تجتمع فيه القيود الماضية ، أو اجتمع فيه بعضها . وهو على أحوال :

الحالة الأولى وعلاجها : وهذه الحالة تخالف القسم الخطر في كل قـيوده ٠ فهي لا تتعلق بالأصول ولا في إيراد شبهة عليها ، ولا استقرار لها في النفس ٠ ولكنها تتعلق ببعض التفاصيل المتعلقة بالأصول .

---

(١) سورة النحل ٠ الآيتان ٩٩ ، ١٠٠ .

والداعي إلى ذلك : أن النفس تتوق إلى معرفة ما ليس في متناول العقل من المجهولات ٠ كالسؤال عن كيفية وجود واجب الوجود ٠ فهو لم ينكر وجود الله ، ولكنه سأل عن الكيفية ٠ لذلك كانت أسئلة الصحابة عن هذا الأمر ، وكان جواب النبي – صلى الله عليه وسلم – للرد عليهم متعلقاً به ٠ من ذلك قول النبي – السابق – (يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا ؟ من خلق كذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) .[١]

وهذا السؤال ناشئ عن عدم إدراكه حقيقة وجوب الوجود ٠ فبما أن الله تعالى موجود ، لابد أن يكون واجباً ، فوجوده تعالى من ذاته ، ولا يحتاج في وجوده إلى غيره ٠ وهو خالق كل شيء ٠ وكل ما في الكون مخلوق ومصنوع له تعالى ٠

ويكفي لمن هذه حالته أن يتوقف عن الخوض فيه ، ويستعيذ بالله تعالى من الشيطان الرجيم ؛ لأنه تعالى هو القادر على صرف الشيطان ووسوسته عن الإنسان .

وواجب عليه أن يتدبر ويتفكر في الكون ؛ ليعلم أنه صنعة الله تعالى ، محتاج إليه ، ويستمد وجوده وبقاؤه منه ﴿ صنع الله الذي أتقن كل شيء ﴾ [٢] ويتفكر في نفسه ليعلم أن له خالقاً ، وأنه محتاج في وجوده وفي استمرار حياته إليه تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ٠ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [٣] ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ﴾ [٤]

وإذا علم أن الكل محتاج إلى الله ، وأنه ليس محتاجاً لغيره ، وعلم أنه تعالى واجب الوجود ، كان من مقتضيات وجوب الوجود أنه تعالى لم

---

(١) الحديث سبق تخريجه راجع ص١٤ من هذا البحث .
(٢) سورة النمل ٠ من الآية ٨٨ .
(٣) سورة الذاريات ٠ الآيتان ٢٠، ٢١ .
(٤) سورة فصلت ٠ من الآية ٥٣ .

يلد ولم يولد ، ولا كفؤ ولا نظير له فسبحانه ﴿ الله أحد ٠ الله الصمد ٠ لم يلد ولم يولد ٠ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [١]

إذاً : طرح هذا السؤال باطل ومتناقض ومتهافت ٠ ينقض أوله آخره ؛ لأن الخالق – وهو ما ثبت في أول الحديث – يبطل أن يكون مخلوقاً ٠ وهذا السؤال أيضاً يفضي إلى باطل وهو التسلسل ٠ فلو كان الذي خلق الخلق له خالق ، فخالقه أيضاً له خالق ، وهكذا إلى ما لا نهاية وهذا باطل .

وإذا كان هذا السؤال باطلاً ومتناقضاً – كما رأينا – فإنه لا يدخل على النفس شبهة في أصل وجود واجب الوجود تعالى ؛ لأن القوانين والأحكام التي تطبق على المخلوق ، لا يصلح تطبيقها على الله تعالى ؛ لأن خلقه للعالم يدل على أنه ليس من جنس العالم ٠ وكذلك لا يصدق عليه ما يصدق على العالم المخلوق ٠ ولو كان من جنس العالم ، لصح أن الشيء يخلق نفسه وهذا مستحيل .[٢]

وقد يرد هذا السؤال " من خلق الله ؟ " – على سبيل الدهشة والاستغراب والتطلع إلى تحديد هذه الحقيقة ، وإخضاعها للتصور ٠ كيف وجد بغير موجد ؟ كيف وجد من غير أول ؟ – كسؤال من فعل الكهرباء وكيف تضيء بغير نار – " فقد خرج الأمر من دائرة الإنكار والشك ، إلى البحث عن الأسرار المحجوبة ، التي يعجز عن الإحاطة بها أهل السماء والأرض ؛ إذ لا يمكن للمحاط أن يحيط بعلمه ، ولا للمحدود أن يسع أكثر من حدوده " [٣] فإذا علم حقيقة نفسه وعجزها ، انقطع عن ذلك .

الحالة الثانية وعلاجها :

وهذه الحالة توافق القسم الخطر ، في كونها تتعلق بالأصول فقط ، وتخالفه وتخالف الحالة الأولى في كل القيود ٠ فهي لا تتعلق بإيراد شبهة

---

(١) سور الإخلاص .
(٢) راجع : دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق ٠ لجنة من قسم العقيدة ٠ مبحث د. عبد المعطي بيومي ٠ ص٤٣ الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
(٣) المختار ٠ ص٣٨٦ .

، ولا طعن في دليل معين ، فالأدلة واضحة ٠ ولكن في وقت غفلة النفس وشرودها ، قد تتغلب عليه شياطين المادة ، فتوسوس له ما يشككه في أساس الإيمان ٠ هذه الوسوسة لا تعتمد على أدلة ولا قوانين للمناظرة ، بل تكون من باب المصادرة ومنع القضايا المبرهنة على سبيل الإجمال ، ولا تقوى على نقض بيان أدلتها .

ويمثل شيخنا المرحوم " د. دراز " هذه الحالة : بوسوسة الشيطان للإنسان وهو غافل وساهٍ في صلاته أو دعائه ، فيدخل عليه تحت ستار النصيحة المموهة ، كأن يقول له مثلاً : " ما بالك لا تحرك لسانك بما لا تعي ؟ أحضر قلبك ، وقدر موقفك ، وأعبد الله كأنك تراه " وهذا في ظاهره أمر حسن ٠ ولكنه لا يقف عند هذا ، فإذا حاول الإنسان ذات مرة ، ولم يجد هذا الاستحضار ، ولم يتفهم كل ما قاله كلمة كلمة ، ولم يتحقق من معانيها ، وجد الشيطان له سبيلاً ، فيزين له بقوله : " ما بك ؟ أمؤمن أنت حقاً ؟ أين هذا الإيمان ، وأنت ذا تكلمه فلا تجده ؟ لعلك مخدوع عن نفسك ، وما أنت إلا مقلد ، سمعت الناس يقولون قولاً ، فقلت كما يقولون بغير برهان ٠ أو مستدل أخذت بالظن ، وحسبت نفسك آخذاً بالعلم واليقين " وربما زاد قائلاً : " بل هو ذاك ، وإلا فنبئني أين هذا الذي تكلمه ؟ هل ترى أحداً قريباً منك فتناجيه ، أو بعيداً عنك فتناديه ؟ أم هو الخيال ، يصور لك حاضراً ما ، ليس بحاضر ٠ ويجعلك تهذي في خلوتك ، كالذي يكلم نفسه ؟ وهل تلك الأدلة العقلية التي يقيمها الناس كافية في إثبات ذلك الشيء كالذي تخاطبه إثباتاً لا يحتمل النقيض ، كالإثبات بالمشاهدة ، أليس من المحتمل ولو على وجه بعيد ، أن تكونوا واهمين في هذا الاستنتاج ، ككثير من الاستنتاجات العقلية التي يعرض لها الخطاب ؟ " (١)

وإذا تتبعنا هذه الخطوات السابقة ، نجده يوغل في الوسوسة من حيث لا يحس الموسوس له ٠ فهو أولاً يحرضه على المراقبة لله ، فيعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه (٢) ، وهو مقام الإحسان ٠ ثم

(١) المرجع السابق ٠ ص٣٨٧، ٣٨٨ .
(٢) انظر حديث النبي في صحيح مسلم ٠ كتاب الإيمان ٠ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان حديث رقم ٨/١ ج١ ص١٧٨ .

من طريق خفي إلى التشكيك في الإيمان ، ثم من التشكيك في الإيمان إلى التشكيك في المؤمن به تعالى .

وهاتان الخطوتان من التشكيك – في الإيمان وفي المؤمن به – يعتمد فيهما الشيطان على التلبيس وعلى المغالطة المكشوفة ٠ ومن هنا يكون العلاج إذا صحح هذه المغالطة .

تلبيس الشيطان للإنسان في الإيمان

وتلبيسه على الإنسان بأنه مؤمن ، يعتمد على أنه لا يجده في نفسه ٠ وهي شبهة مبينة على القول : بـ " عدم الوجدان دليل على عدم الوجود " ٠ وهي مغالطة واضحة وظاهرة ، ربما تجوز على الغافل ٠ فالمؤمن بالأمور الغيبية إذا أصيب بمرض الغفلة ، ولم تكن جذوة الإيمان مشتعلة دائماً ، يخيل إليه في أول تنبيه ، أنه لا يجد إيمانه ، وأنه نزل من اليقين إلى الظن ٠ وكلما كانت الغفلة مسيطرة عليه أكثر ، كان إحساسه بالبعد عن الإيمان أكبر ٠ فإذا لم يستطع أن يتغلب على هذه الغفلة سريعاً ، ضحك منه الشيطان قائلاً : " لقد صدقت ظني فيك ، ولولا أنك في شك من دينك ، لوجدت نفسك بعد هذه المحاولة في حضور ومشاهدة " ، فيزداد توهماً أنه سلب إيمانه ، وليس كذلك ، وإنما هو عدم الحضور لا عدم الحصول ، ونقص الزيادة لا نقص الأصل " (١)

فالإنسان والحالة هذه ، ما عليه إلا أن يراجع أدلته ، ويتحسس يقينه ، فيعلم أنه بعيد عن الشك الحقيقي ، وإنما يتوهم أنه يشك ٠ وحاله كأنه يبحث عن شيء موجود في نفسه ٠ وكي يتأكد العبد من هذا ، ويعلم أن حالته هذه ليست راجعة إلى الشك ، بل راجعة إلى التفاوت الواضح بين طبيعة الإيمان بالغيب ، وطبيعة الإيمان بالشهادة ، فطبيعة الإيمان بالغيب ، مع أنها واضحة دائماً ، ومستدل عليها بالأدلة اليقينية ، إلا أنها محجوبة عن العيان ، فكانت كالسهل الممتنع فـ " نحن كلما شغلت حواسنا

(١) المختار ٠ ص٣٨٨ .

بظواهـر الدنـيا ، لم نشاهد نور الإيمان ٠ وكلما طالعت قلوبنا آيات الله ، أشرقت علينا نور تلك الحقيقة ٠ وليس في طاقتنا ، ما دمنا مؤمنين بالغيب ، أن نكـون في شهود دائم ٠٠٠ وبالجملة : فطبيعة الإيمان بالغيب ، تأبى أن تكـون كالإيمـان بالشهادة ؛ إذ بينهما برزخ لا يبغيان ، نعم إن المدى بيـنهما ، قـد يقصر جداً ، حتى ليكادان يلتقيان ٠ لكن دوام هذا الحال من المحال ، لأن الإنسان معجون بطينة النسيان " (١)

تلبيس الشيطان للإنسان وتشكيكه في وجود الله تعالى

هـذا التلبيس وهذه الشبهة قائمة على قول : " كل ما لم يقع تحت الحس بطريق مباشر ، جاز أن يكون وهماً وخيالاً ، حتى وإن قامت عليه الأدلـة " وهذه الشبهة هي ما يعتمد عليها الملاحدة في إنكارهم لوجود الله تعـالى ٠ وهـي قـد تعـرض للمؤمن ، ولكنها تمر بخواطرهم كما تمر الوساوس العارضة ، لا تستقر ، لأنها تقوم على شبهة واهية ، سرعان ما تندحر وتنهار .

ومـن يعتقد هذا نقول لهم : إنكم تؤمنون بأشياء غيبية لا ترونها ، ليست في متناول الحس ٠ وعلى الرغم من ذلك ، فأنتم تؤكدون وجودها ، وتبرهـنون على ذلك مثل : الطاقة ، والجاذبية ، والإلكترونات ، والأثير ، والعقـل وغـير ذلـك ٠ فإن قالوا : إننا نؤمن بهذه الأشياء ، لأننا نشعر ونحـس بوجودهـا من آثارها ٠ فقد ثبت المطلوب ، وهو : إثبات وجوده تعـالى ؛ لأن كـل ما في الكون يدل ويشعر بوجوده ، بل هو صارخ في الأدلـة على وجوده ٠ وقديما استدل الأعرابي بالأثر على وجود المؤثر ٠ فقد سئل بما عرفت الله ؟ قال : " البعرة تدل على البعير ، وأثر السير يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، أفلا يدل ذلك على الحكيم الخبير " (٢)

(١) المرجع السابق ٠ ص٣٨٩ .
(٢) راجع : شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية ج١ ص١٨٩ ط. المطبعة العثمانية سنة ١٣١٨هـ .

وقـد تواتـرت الأدلة الصحيحة على وجود الله تعالى ، فإذا جاز إنكار وجوده بناء على عدم وقوعه تحت الحس ، لجاز لنا أن ننكر مثلاً ، وجـود المـدن التي لم نرها ، والأخبار التي لم نعاصرها ٠ ولكننا نجزم بوجودها ووقوعها لنقلة الثقات ذلك لنا ٠ بل هناك من الأمور اليومية التي تحـدث في حياة الإنسان ، ما يجعله يؤمن بما لا يرى ويحس " كيف يؤمن بعـداوة العدو ، وصداقة الصديق ، وهو لم يشق على قلبه ؟ وكيف يعرف عقـل العاقل ، وجهل الجاهل ، وهو لم يطلع على تضاريس مخه ؟ وكيف يقـول : إنـه رأى يد فلان ، إذا كانت مستورة في قفازها ؟ وكيف يؤمن بحـياة مـن يكلمه من وراء جدار ، وهو لا يرى شخصه ؟ وكيف يؤمن بالكهرباء ، وهو لا يرى إلا آثارها ؟ ٠ بل كيف يؤمن بحياة من يشاهده ، وبقدرتـه وعلمـه ، وهو لا يرى إلا مظاهر تلك القوى ؟ ٠ ولماذا يستعد للقـاء الجـيوش قبل قدومها ؟ ٠ ولترميم الدار قبل سقوطها ؟ ٠ ولتوقي الأمراض قبل هجومها ؟ " .(١)

وإذا كـان هـذا المنكر لوجود الله تعالى ، بناء على عدم إدراكه بـالحس ، فإن أحكام الحواس – وهي المصدر الرئيسي للمعرفة عندهم – غالـباً خادعـة ، وليست صحيحة ٠ يصور الإمام الغزالي ذلك في رحلته مـن الشـك إلى اليقين ، فيقول : " فأقبلت بجد بليغ ، أتأمل في المحسات والضـروريات ٠ وأنظـر : هل يمكنني أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهي بي طول التشكيك ، إلى : أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسات أيضاً ٠ وأخـذ يتسع هذا الشك فيها ، ويقول : من أين الثقة بالحواس ؟ وأقواها حاسـة البصر ، وهي تنظر إلى الظل ، فتراه واقفاً غير متحرك ، وتحكم بنفي الحركة ٠ ثم بالتجربة والمشاهدة – بعد ساعة – : تعرف أنه متحرك ، وأنـه لم يتحرك دفعة بغتة ، بل على التدريج ذرة ذرة ، حتى لم تكن له حالـة وقـوف ٠ وتـنظر إلى الكوكب فتراه صغيراً في مقدار دينار ، ثم الأدلة الهندسية ، تدل على أنه أكبر من الأرض في المقدار .

(١) المختار من كنوز السنة ٠ ص٣٩٠ .

هـذا وأمـثاله مـن المحسات ، يحكم فيها حاكم الحس بأحكامه ، ويكذبه حاكم العقل ويخونه ، تكذيباً لا سبيل إلى مدافعته " .(١)

ومـا توصل إليه " الإمام الغزالي " هو بعينه ما قاله " ديكارت " : "كل ما تلقيته حتى اليوم ، وآمنت بأنه أصدق الأشياء وأوثقها ، قد اكتسبته مـن الحـواس ، أو بواسطة الحواس ٠ غير أني جربت هذه الحواس في بعـض الأحـيان ، فوجدتهـا خادعـة ٠ ومن الحكمة أن لا نطمئن كل الاطمئنان ، إلى من خدعونا ولو مرة واحدة " (٢)

فالاعـتماد على الحواس وحدها ، في إنكار أصل الأصول ، نقص في العقل ، وتحكيم للحواس بما هو فوق مدركاتها .

علـى أن قضـية إثبات وجود الله تعالى ، لم تكن واردة حتى في أحلـك فـترات التاريخ ، فوجوده تعالى أمر فطري ، ومركوز في النفس الإنسـانية ٠ والكفار كانوا يقرون ويعترفون بوجوده تعالى ﴿ ولئن سألتهم مـن خلـق السـماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله ﴾ (٣) ﴿ ولئـن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ليقولن الله ﴾(٤) ﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العلـيم﴾(٥) ٠ وقـد استغرب الرسل – عليهم السلام – بما فطروا عليه من معـرفة وجود الله ، إنكار المشركين له ﴿ ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نـوح وعـاد وثمـود والذيـن من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبيـنات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شـك مما تدعوننا إليه مريب ٠ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض﴾(٦)

---

(١) المنقذ من الضلال ٠ الإمام الغزالي ٠ تحقيق د. عبد الحليم محمود ٠ ص ٩٦ ط. دار الكتب الحديثة ٠ بدون .

(٢) التأملات في الفلسفة الأولى ٠ رينيه ديكارت ٠ ترجمه وقدم له وعلق عليه : د. عثمان أمين ص٧٢ وما بعدها : نشر مكتبة الأنجلو المصرية ٠ الطبعة الثانية ١٩٥٦م .

(٣) سورة العنكبوت ٠ من الآية ٦١ .

(٤) سورة العنكبوت ٠ من الآية ٦٣ .

(٥) سورة الزخرف ٠ آية ٩ .

(٦) سورة إبراهيم ٠ الآيتان ٩ ، ١٠ .

وهـذه المعرفة والإقرار مأخوذتان من العهد والميثاق ، الذي أخذه الله تعالى على بني آدم وهم في عالم الذر ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهـم ذريـتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ٠ أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قـبل وكـنا ذريـة من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ٠ وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون ﴾ (١)

وهـذا الإقـرار والإشهاد ، هو الفطرة التي يولد الإنسان عليها ، وعبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله : (ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه ، أو يمجسانه) (٢)

هـذه الفطـرة هـي مـا جعلت الكثير من العرب في الجاهلية ، يعـترفون ويقـرون بوجوده تعالى ٠ ومنهم الحنفاء كـ " قس بن ساعدة الأيادى " و " زيد بن عمرو بن نفيل " .

فمن أقوال " قس " : " يا أيها الناس استمعوا واسمعوا واعوا : كل مـن عـاش مات ، وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت ٠ ليل داج ، وسـماء ذات أبـراج ، ونجـوم تزهر ، وبحار تزخر ، وجبال مرسية ، وأنهـار مجـرية ٠ إن في السماء لخبرا ٠ وإن في الأرض لعبرا ٠ أرى الناس يموتون ولا يرجعون ٠ أرضوا بالإقامة فأقاموا ، أم تركوا فناموا ٠ أقسـم قس قسماً بالله لا أثم فيه : إن لله ديناً هو أرضى مما أنتم عليه ٠ ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين ... من القرون لنا بصائر
لما رأيت مصارعاً ... للقوم ليس لها مصائر
ورأيت قومي نحوها ... يمضي الأكابر والأصاغر
أيقنت أني لا محالة ... حيث صار القوم صائر (١)

---

(١) سورة الأعراف ٠ الآيات ١٧٢-١٧٤ .

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن أبى هريرة ٠ كتاب الجنائز ٠ باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام ؟ حديث رقم ١٣٥٨ ٠ الفتح ج٣ ص٢٦٠ .

وكان " زيد بن عمرو بن نفيل " ، لا يأكل مما ذبح على الأنصاب ، ولا مما لم يذكر اسم الله عليه . وكان يعيب على قريش ذبائحهم ، وكان يقول : " الشاه خلقها الله ، وأنزل لها من السماء ماء ، وأنبت لها من الأرض . ثم تذبحونها على غير اسم الله ، إنكاراً لذلك ، وإعظاماً له ".[٢]

وكان المشركون مع عبادتهم لغير الله ، يعترفون بوجوده ، وكانوا يظنون أن هذه العبادة لغير الله تقربهم من الله ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾ [٣]

والقرآن الكريم لم يدلل على وجوده تعالى ، ولكنه دلل على وحدانيته . ومع ذلك فنستطيع أن نستنبط أدلة على وجوده تعالى ، من خلال الآيات الدالة على وحدانيته ، وعموم قدرته ، وخلقه للكون .

وقد صنف العلماء الأدلة المستنبطة من آيات القرآن الكريم ، وأشهرها دليلي الخلق والعناية .

دليل الخلق : هذه المخلوقات في هذا الكون الفسيح ، دليل على أن لها خالقاً ، وإلا ما وجدت . وأن خالقها قادر على الإيجاد والإعدام ، وهو الله . يقول تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ [٤] وقوله: ﴿ ألم تر أن الله خلق السماوات والأرض بالحق ﴾ [٥] وقوله : ﴿ أو لم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون . وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً لعلهم يهتدون . وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون . وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون ﴾ [٦] وقوله : ﴿ هل من خالق غير الله ﴾ [٧]

---

(١) البداية والنهاية . الإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير ت. ٧٧٤هـ ج٢ ص ٢٩٥ . ط. دار إحياء التراث العربي . بيروت . بدون .
(٢) صحيح البخاري . كتاب مناقب الأنصار . باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل . حديث رقم ٣٨٢٦ . الفتح ج٧ ص١٧٦ .
(٣) سورة الزمر . من الآية ٣ .
(٤) سورة البقرة . من الآية ٢٩ .
(٥) سورة إبراهيم . من الآية ١٩ .
(٦) سورة الأنبياء . الآيات ٣٠-٣٣ .
(٧) سورة فاطر . من الآية ٣ .

ويبين تعالى أن الذين يدعون آلهة من دون الله ، لا يستحقون العبادة ، ولم يخلقوا شيئا ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ [١] ﴿ ... الذي له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً ﴾ [٢].

دليل العناية : وهو قائم على بيان الدقة والإتقان والإبداع في هذا الكون . مما يدل على أن له خالقاً ولم يخلق نفسه . " هذا النظام الذي وضع لكل شيء سببه ، وحرك الكائنات جميعاً بقوانين ثابتة ، يترتب بعضها على بعض . فكل قانون يرتبط بقانون آخر لتوحيد ظاهرة معينة في تضامن وإتقان ، تدهش له العقول ، ولا تملك إلا أن تسلم بأن هذا النظام الدقيق المترابط المنسجم ، لابد وراءه خالق قدير ، أعطى لكل شيء حقه ، ورسم لكل مخلوق وظيفته ، بحيث تسلم الأدوار بعضها إلى بعض " [٣].

وآيات القرآن الكريم كثيرة لبيان هذا الدليل . منها قوله تعالى : ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم . والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم . لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ [٤] وقوله : ﴿ ألم نجعل الأرض مهاداً . والجبال أوتاداً وخلقناكم أزواجاً . وجعلنا نومكم سباتاً وجعلنا الليل لباساً . وجعلنا النهار معاشاً . وبنينا فوقكم سبعاً شداداً . وجعلنا سراجاً وهاجاً . وأنزلنا من

---

(١) سورة الحج . آية ٧٣ .
(٢) سورة الفرقان . الآيتان ٢، ٣ .
(٣) دراسات في العقيدة الإسلامية والأخلاق . د. عبد المعطي بيومي ص٣٤ .
(٤) سورة يس . الآيات ٣٧-٤٠ .

المعصرات ماء ثجاجاً ٠ لنخرج به حباً ونباتاً ٠ وجنات ألفافاً ﴾ [١] وقوله : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ٠ وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ٠ وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ [٢] .

وهناك من الآيات القرآنية ما جمعت بين دليلي الخلق والعناية ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ٠ الذي جعل لكم الأرض فراشاً ٠ والسماء بناء ٠ وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾ [٣] وقوله : ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ [٤] وقوله : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانه وغرابيب سود ٠ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ﴾ [٥] .

والخلاصة : إذا وجد الإنسان في نفسه هذه الشبهة من الوسوسة ، يرجع إلى الحق ، بإيراد الأدلة الصحيحة من القرآن ، ومن السنة ، ومن العقل السليم ، ليعلم فسادها ٠ ويكون متيقظاً دائماً لعدم الوقوع فيها ، مستمعاً لهذا النداء الداخلي وهو يقول له : " أتسأل أين هذا الذي أناجيه ! إنه ليس شيئاً يستقبل بالأبدان ، أو يتمثل عرض الجدران ، فأفرح إن تعلق به خيالي ، كأنه ماثل أمامي حاضر محدود ، أو أحزن إن لم أحس به ، كأنه غائب مفقود ، كلا !! ، لا شأن لي بهذا الذي يغيب ويحضر ٠ فما ذاك إلا خيلة وأوهام ٠ وإنما أناجي حاضر لا يغيب ٠ ولكن شأنه في حضوره عجيب : فهو ليس بالقريب الذي ينحصر فيحد ، ولا بالبعيد الذي يفتش عنه فيفقد ٠ وهو مع ذلك قريب جداً بسلطانه ، بعيد جداً بعلو شأنه

---

(١) سورة النبأ ٠ الآيات ٦-١٦ .
(٢) سورة الغاشية ٠ الآيات ١٧-٢٠ .
(٣) سورة البقرة ٠ الآيتان ٢١، ٢٢ .
(٤) سورة البقرة ٠ آية ١٦٤ .
(٥) سورة فاطر ٠ الآيتان ٢٧، ٢٨ .

٠ هل أطلعك عليه ؟ إنه لا يدركه الطرف ٠ هل أصفه لك ؟ إنه لا يكشف عنه الوصف ٠ هل أمثله لك ؟ إنه لا يخيل بذاته ٠ غير أنه بقدر عظمة ملكه ، تتمثل عظمة صفاته ٠ فيتصور محيطه بكل شيء ، ولا يحيط به شيء .[١]

الحالة الثالثة وعلاجها :

وهذه الحالة توافق القسم الخطر ، في كونها تتعلق بالأصول ، وفي كونها تتعلق بشبهة معينة ٠ وتخالفه وتخالف الحالة الأولى والثانية ، في كيفية إلقاء هذه الشبهة ، وفي كيفية تلقي النفس لها ٠ ففي القسم الخطر تتلقاها النفس بالقبول ، وتستقر فيها ٠ ولكن هذه الحالة تتفزع النفس وتنزعج من قبولها ، وتتلمس الخلاص منها ٠ فتمر على النفس دون استقرار ٠ فهي بمثابة نزغة من نزغات الشيطان ، يلقيها الشيطان ثم ينسخها الله تعالى بفضله وكرمه ٠ وهذا يفهم من قوله تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ٠ وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون ﴾ [٢] فيجوز على المتقين أن يمسهم طائف [٣] من الشيطان ٠ وهو أبلغ من النزغ ، ودرجة تالية له .

ويبين " الإمام الرازي " – رحمه الله – أن السبب في هذا الطائف هو الغضب ٠ فإذا غضب الإنسان ، تدخل الشيطان .

ودواعي الغضب ثلاثة : أن يستقبح من المغضوب عليه عملاً من الأعمال ٠ ثم يعتقد في نفسه القدرة على المغضوب عليه ٠ ثم يعتقد أن المغضوب عليه عاجز عن الدفع ٠ وعند حدوث هذه الأشياء الثلاثة ، مع وقوعه في ظلمات عالم الأجسام ، يكون لعمل الشيطان حظ فيه ٠ أما إذا

---

(١) المختار ص٣٩٢، ٣٩٣ .
(٢) سورة الأعراف ٠ الآيتان ٢٠١، ٢٠٢ .
(٣) الطيف : الخيال نفسه ٠ والطيف : المس من الشيطان ، وقولهم : طيف من الشيطان ٠ كقولهم : لمم من الشيطان ٠ وأصل الطيف : الجنون ، ثم استعمل في الغضب ومس الشيطان ٠ يقال : طاف يطيف طيفاً وطوفاً ، فهو طائف ٠ ومنه طيف الخيال الذي يراه النائم ٠ لسان العرب ج٤ ص ٢٧٣٩ .

تذكر وانكشف له نور من عالم الغيب ، زالت هذه الأشياء ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾

وإزالة الأمر الأول – استقباح عمل ما من المغضوب عليه – تكون بتذكر أن المغضوب عليه ، إنما أقدم على ذلك العمل ، لأن الله تعالى خلق فيه داعية جازمة راسخة تجعله يقدم عليه ٠ وبالتالي فلا سبيل إلى تركه ٠ عندئذ يزول عنه غضبه .

وإزالة الأمر الثاني والثالث – وهما اعتقاده في نفسه كونه قادراً والمغضوب عليه عاجزاً – يكون بأشياء منها :

- أنه ينظر إلى قدرة الله عليه ، وفي عفوه عنه عند إساءته في كثير من العمل .
- أن يدرك أن المغضوب عليه ، كما هو عاجز أمامه ، كذلك هو عاجز أمام قدرة الله تعالى .
- أن يتذكر أمر الله ، من ترك إمضاء الغضب ، وإيذاء الغير ﴿ والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[1]
- أن يتذكر أنه بإمضائه الغضب ، يصير شريكاً للسباع المؤذية ، والحيات القاتلة ٠ وإن ترك الانتقام ، واختار العفو ، كان شريكاً لأكابر الأنبياء والأولياء .
- أن يتذكر أنه ربما انقلب الضعيف قوياً ، قادراً عليه ، فيكون انتقامه منه أشد وأسوأ .

وبهذه الأشياء يزول مس الشيطان ، ويحصل الخلاص من وسوسته ٠ لذلك قال تعال : ﴿ فإذا هم مبصرون ﴾ فإذا هنا للمفاجأة ٠ والمراد بالإخوان في الآية الكريمة : أي أخوان الشياطين يمدون الشياطين في الغي ، وذلك لأن شياطين الأنس إخوان لشياطين الجن ٠ فشياطين الإنس يغوون الناس ، فيكون ذلك إمداداً منهم لشياطين الجن على الإغواء والإضلال ٠ ومعنى الإمداد : تقوية تلك الوسوسة ، والإقامة عليها ، وشغل النفس عن الوقوف عن قبائحها ومعايبها .[2]

---

(١) سورة آل عمران ٠ من الآية ١٣٤ .
(٢) راجع : التفسير الكبير ج١٥ ص٨١، ٨٢ .

وبعد هذا البيان لهذه الحالات الثلاث : يتضح لنا معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما سئل عن الوسوسة قال : (تلك محض الإيمان) فكون الوسوسة من الإيمان ، علامة على وجود الإيمان ؛ لأن الشيطان إذا وجد في من يوسوس إليه استعداد وقبول لما يلقى إليه من شبه ساقها إليه واحدة تلو الأخرى ، حتى يغويه ويضله ٠ أما إذا وقف الإنسان في وجه الشيطان ، قاطعاً هذه الوسوسة ، ولا يستطيع الشيطان إلا أن يلقي إليه هذه النفثات أو النزغات ، بما لا يوجب شكاً في أصل من الأصول ، يدل هذا على يأسه من إغوائه ، وعدم النفاذ إليه ٠ لذلك كان قول النبي – صلى الله عليه وسلم – لمن سأل عن الوسوسة قائلاً : (يا رسول الله : إن أحدنا يجد في نفسه ، يعرض بالشيء ، لأن يكون حممة ، أحب إليه من أن يتكلم به ٠ فقال : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ٠ الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة)[1] أي أن غاية شأن الشيطان مع المؤمن ، هو الوسوسة ، ولا يستطيع معه أكثر من ذلك – رحمة من الله تعالى – وقال " ابن قدامة " (رد أمره) والضمير للرجل أو الشيطان .[2]

ويبين " الشيخ دراز " – رحمه الله – الحكمة من ابتلاء المؤمنين بهذه الوساوس – الزلازل السطحية – ليخاف المؤمنون على إيمانهم ، ويتعهدونه ، ليزدادوا حرصاً عليه ، والتجاء إلى الله في حفظه ٠ كمن يحمي ممتلكاته من اللصوص ، التي تحوم حولها ٠ ففي الإيمان أولى وأوجب ؛ كي لا يسرق اللصوص – وساوس الشيطان – أنفس ما عنده ، وهو جوهرة إيمانه ٠ فالله تعالى الذي أقدر الشياطين إلى الوصول إلى باب الحصن ، قادر على أن يفتح لهم ، ويمكنهم منه ٠ وقادر على صرفهم عنه ٠ وبهذا يزداد الإنسان إيماناً بربه تعالى ، وتذكرة بنعمة الله عليه .[3]

---

(١) الحديث سبق تخريجه راجع ص ١٤ من هذا البحث .
(٢) عون المعبود شرح سنن أبى داود ٠ أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم أبادي ٠ تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ٠ ج١٤ ص١٦ ط. دار الفكر ٠ لبنان ٠ الطبعة الثالثة ٠ سنة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م .
(٣) راجع : المختار ٠ ص٤٠٢ .

النصوص التي توهم ورود الوسوسة في حق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - :

يقول تعالى مخبراً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ﴿ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم ﴾ [١] والنزغ أول درجات وسوسة الشيطان . وهذا لا يقدح في حق نبينا - صلى الله عليه وسلم - ، ولا يدل على حدوثه في حقه . وذلك كقوله تعالى : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [٢] ولم يدل ذلك على أنه - صلى الله عليه وسلم - أشرك . وكقوله تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾ [٣] وهذا لا يدل على أنه حصل فيهما آلهة . وعلى فرض وسوسة الشيطان للنبي ، فإن هذا لا يقدح في عصمته ؛ إنما القادح في عصمته لو قبل الرسول وسوسته ، والآية الكريمة لا تدل على ذلك .[٤]

على أن هناك أحاديث للنبي - صلى الله عليه وسلم - تبين عدم وسوسته له ، في أي درجة من درجات الوسوسة منها : (ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن . قالوا : وإياك يا رسول الله ؟ قال : وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني إلا بخير) [٥]

ومنها : (أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتاه جبريل - صلى الله عليه وسلم - وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه ، فشق عن

(١) سورة الأعراف . الآية ٢٠٠ .
(٢) سورة الزمر . من الآية ٦٥ .
(٣) سورة الأنبياء . من الآية ٢٢ .
(٤) راجع : التفسير الكبير . ج١٥ ص٧٩، ٨٠ .
(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن ابن مسعود . كتاب صفات المنافقين . باب تحريش الشيطان حديث رقم ٢٨١٤/٦٩ ج٩ ص١٧٢ .

قلبه ، فاستخرج القلب ، فاستخرج منه علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ...) [١]

إلا أن هناك من المفسرين من ذكر ما يدل على وقوع الوسوسة في حق النبي ؛ وذلك عندما رأى إعراض المشركين عنه ، وشق عليه بعدهم عن دينه . تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه ، وذلك لحرصه على إيمانهم . فجلس ذات يوم في نادٍ من أندية قريش ، وفيه جمع كثير . وأحب يومئذ أن لا ينزل من الله شيئاً ينفرهم منه . فأنزل الله تعالى سورة النجم ، فقرأها حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى ﴾ [٢] ألقى الشيطان على لسانه بعد ذلك : [تلك الغرانيق[٣] العلى ، منها الشفاعة ترتجي] . فلما سمعت قريش بذلك فرحوا ؛ لأن النبي ذكر آلهتهم بخير . حتى إذا بلغ موضع السجدة من السورة ، سجد المشركون معه . فلما أمسى النبي جاءه جبريل - عليه السلام - فأخبره بأنه قرأ على الناس ما لم ينزل عليه . فحزن الرسول لذلك ، وخاف من الله ، فأنزل تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد ﴾ [٤]

وهذه الشبهة واهية ، ولا أساس لها من الصحة . ويمكن الرد عليها من خلال القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، ومن خلال الأدلة العقلية .

(١) رواه الإمام مسلم بسنده عن أنس . كتاب الإيمان . باب الإسراء برسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديث رقم ٢٦١ ج١ ص٤٨٨ .
(٢) سورة النجم . الآيتان ١٩، ٢٠ .
(٣) الغرنوق : الناعم المنتشر من النبات . والغرنوق ، والغرانق ، والغرونق : الأبيض الشاب الناعم الجميل . والغرنوق والغرنيق : طائر أبيض . وقيل : هو طائر أسود من طير الماء الطويل العنق . راجع : لسان العرب ج٥ ص٣٢٤٨، ٣٢٤٩ .
(٤) سورة الحج . الآيتان ٥٢، ٥٣ .

أولاً : من خلال القرآن الكريم :

الآيات القرآنية التي تبين تنزيه النبي عن الكذب في اخباره أو كتم بعض ما أمر بتبليغه كثيرة منها :

١- قولـه تعالى : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل ٠ لأخذنا منه باليمين ٠ ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ (١)

٢- قولـه : ﴿ قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي ٠ إن أتبع إلا ما يوحى إلى إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ (٢)

٣- مـا ورد فـي السورة ذاتها ، قبل تلك الآيات من قوله : ﴿ ما ضـل صـاحبكم ومـا غوى ٠ وما ينطق عن الهوى ٠ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٣) فلو أدخل الشيطان في نفس النبي هذه الكلمات [تلك الغرانيق العلى ٠٠٠] – لكان هذا كذباً في إخباره تعالى ، وهذا محال .

٤- قولـه : ﴿ وإن كـادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلا ﴾ (٤) أي قرب مع أنه لم يحدث الافتتان .

٥- قولـه : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا ﴾(٥) وكلمـة لـولا تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فدل هذا على أن هذا الركون القليل لم يحدث .

٦- قوله : ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ (٦)

٧- قوله : ﴿ سنقرئك فلا تنسى ﴾ (٧)

---

(١) سورة الحاقة ٠ الآيات ٤٤-٤٦ .
(٢) سورة يونس ٠ من الآية ١٥ .
(٣) سورة النجم ٠ الآيات ٢-٤ .
(٤) سورة الإسراء ٠ الآية ٧٣ .
(٥) سورة الإسراء ٠ الآية ٧٤ .
(٦) سورة الفرقان ٠ من الآية ٣٢ .
(٧) سورة الأعلى ٠ آية ٤ ٠ وانظر : التفسير الكبير ج٢٣ ص٤٤ .

ثانياً : الرد عليها من خلال السنة النبوية المطهرة :

مـنها : ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس قال : (سـجد النبـي – صـلى الله عليه وسلم – بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشـركون والجن والأنس) (١) ٠ ولم يذكر في الحديث أن السورة ورد فيها قصة الغرانيق .

وقد ذكر " ابن حجر " روايات كثيرة عند ذكره لتفسير سورة الحج ، وذكر ضعف رواة القصة ، ودلل على بطلانها .(٢)

وقـد تعقـب الإمام " ابن كثير " – رحمه الله – ما روي في هذه القصة ، ثم قال : " قلت : وقد ذكرها محمد بن اسحق في السيرة بنحو من هـذا ، وكلهـا مرسلات ومنقطعات ٠ والله أعلم ٠ وقد ساقها البغوي في تفسيره ، مجموعة من كلام " ابن عباس " و " محمد بن كعب القرظي " ، وغـيرهما بنحو من ذلك ٠ ثم سأل ههنا سؤالاً : كيف وقع مثل هذا ، مع العصمة المضمونة من الله تعالى لرسوله ؟ – صلاة الله وسلامه عليه – ، ثـم حكـى أجوبـة عن الناس ، من ألطفها : إن الشيطان أوقع في مسامع المشـركين ذلك ، فتوهموا أنه صدر من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولـيس كذلك في نفس الأمر ، بل إنما كان من صنيع الشيطان ، لا عن رسول الرحمن – صلى الله عليه وسلم – والله أعلم " (٣)

---

(١) كتاب التفسير ٠ باب (فاسجدوا لله واعبدوه) حديث رقم ٤٨٦٢ ٠ الفتح ج٨ ص٤٨٠.
(٢) راجع : الفتح ٠ ج٨ ص٤٨٠ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ٠ الإمام إسماعيل ابن كثير ٠ ج٣ ص٢٣٠ ٠ ط. دار إحياء الكتب العربية ٠ بدون .

ثالثاً : الرد عليها من خلال العقل :

١- إن من جوز على الرسول – صلى الله عليه وسلم – تعظيم الأوثان فقد كفر ، لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان .

٢- إن مما يبطل قولهم أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما كان يمكنه في أول الأمر ، أن يصلي ويقرأ القرآن عند الكعبة ، آمنا من أذى المشركين له ، وكان النبي يصلي ليلاً في عدم وجودهم .

٣- أن معاداتهم للرسول ، كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة ، دون أن يقفوا على حقيقة الأمر ، فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سجداً ، مع أنه لم يظهر عندهم موافقته لهم .

٤- قوله : ﴿ فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ ، وذلك لأن إحكام الآيات ، بإزالة ما يلقيه الشيطان عن الرسول ، أقوى من نسخه بهذه الآيات ، التي تبقي الشبهة معها . فإذا أراد الله إحكام الآيات لئلا يلتبس ما ليس بقرآن قرآناً ، فبأن يمنع الشيطان من ذلك أصلا أولى .

٥- لو كان جائز أن يوسوس الشيطان للنبي ، ويلقي على لسانه كلاماً ليس بوحي ، لأرتفع الأمان عن شرعه . ولجاز في كل واحد من الأحكام والشرائع أن يكون كذلك . وبهذا يبطل مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ (١)

٦- أنه من الثابت في حق الأنبياء جميعا ، ونبينا محمد – صلى الله عليه وسلم – بصفة خاصة ، وصفهم بالصدق ، والأمانة ، والتبليغ ، والفطانة . وما ثبت في حقهم من العصمة . وجمهور العلماء على وجوب عصمتهم عما ينافي مقتضى المعجزة .(٢)

والعصمة في اللغة : مطلق الحفظ . واصطلاحاً : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه .(٣)

---

(١) سورة المائدة . من الآية ٦٧ . وراجع : التفسير الكبير ج٢٣ ص٤٤، ٤٥ .

(٢) راجع : شرح مقاصد الطالبين . سعد الدين التفتازاني . ج٢ ص١٤٢ . ط. دار الطباعة العامرة سنة ١٢٧٧هـ .

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد . الشيخ إبراهيم البيجوري ص١٥٥ ، ط. المعاهد الأزهرية ، سنة ١٤١٥هـ – ١٩٩٦م .

ومن العصمة : حفظ الأنبياء من إلقاء الشيطان . وإذا جوزنا إلقاء الشيطان على لسان الرسول لبعض الآيات ، لجاز ذلك في حق جميع القرآن ، ولتسرب الشك إليه ؛ لجواز وقوع ذلك في جميع آياته . وهذا باطل .

٧- سياق آيات القرآن الكريم ، تدحض وتبطل هذه الفرية ؛ إذ كيف يرضي النبي – صلى الله عليه وسلم – المشركين بمثل هذه الكلمات ، التي تمدح آلهتهم ، وسياق الآيات تذمها . وأين كانت عقولهم وهم أهل فصاحة وبلاغة وبيان .

ولنستمع إلى الآيات القرآنية ﴿ أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى – [تلك الغرانيق العلى ، وأن شفاعتهن لترتجى] – ألكم الذكر وله الأنثى . تلك إذاً قسمة ضيزى . إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (١) . فكيف توصف بالغرانيق العلى ، ثم توصف بعد ذلك ، بأنهم هم الذي أسموها بهذا ، وإن الله لم ينزل سلطاناً بهذا ؟ وكيف تقبل شفاعتهن [وإن شفاعتهن لترتجى] ثم يخبر تعالى بعد ذلك : ﴿ وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴾ (٢) .

وكيف يقول تعالى : ﴿ فأعرض عمن تولى من ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا . ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ﴾ (٣) ويتمنى الرسول أن ينزل من القرآن ما لا ينفرهم منه ، كما تحكي هذه الرواية .

والذي تطمئن إليه النفس : أن هذه الوسوسة المانعة من قبول الإيمان ، وقعت في نفس المشركين من الشيطان ، فمنعتهم من قبول الهدى . وليست واقعة في نفس النبي – صلى الله عليه وسلم – يذكر الشيخ "أبو دقيقة" – رحمه الله – معنى الآية على الوجه الصحيح فيقول : " وما

---

(١) سورة النجم . الآيات ١٩-٢٣ .

(٢) سورة النجم . الآية ٢٦.

(٣) سورة النجم . الآيتان ٢٩، ٣٠ .

أرسلنا رسولاً قبلك بشرح جديد ، كإبراهيم وموسى وعيسى أو نبياً مجدداً لشرع جاء به رسول قبله ، كأنبياء بني إسرائيل ؛ إلا إذا تمنى هداية قومه ، ألقى الشيطان في قلوب هؤلاء القوم ، الوساوس التي تنفرهم من قبول ما يتمناه ويطلبه منهم ، وهو الإيمان . ولكن إذا أراد الله هدايتهم ، أزال الوساوس التي ألقاها الشيطان في صدورهم ، ووفقهم لإدراك الحقيقة ، وإجابة النبي فيما طلب . فالنسخ محو الوساوس وإزالتها ، وإحكام الآيات التوفيق للصواب . فالآية نزلت تسلية للنبي ، لبيان أن كل مصلح لابد وأن يلاقي في طريقه عقبات ، تكون حاجزاً بينه وبين مطلوبه ، لكن إذا لاحظته عناية اللطيف الخبير ، ذللت له تلك العقبات . حيث كان رائده المصلحة " [١]

الشك في القضايا الإيمانية

علمنا مما سبق ، أن الله تعالى ، يتجاوز عن أمته خواطر وأحاديث النفس في العبادات ، سواء كانت خاطراً ، أو تردداً ، أو هما ، أو عزماً . أما في العقائد ففيها تفصيل ، وقد مر بيانه .

هذه الأحوال كلها ما لم يقل العبد أو يفعل . وبين أحاديث النفس وبين القول أو الفعل ، تأتي النية . فالنية فارقة بين أحاديث النفس ، وبين إخراجها إلى حيز القول أو الفعل . يقول الإمام الغزالى – رحمه الله – " والخواطر هى المحركات للإرادات ، فإن النية والعزم والإرادة ، إنما تكون بعد خطور المنوي بالبال لا محالة . فمبدأ الأفعال الخواطر ، ثم الخاطر يحرك الرغبة ، والرغبة تحرك العزم ، والعزم يحرك النية ، والنية تحرك الأعضاء "[٢] لذلك كان تعريف النية فى اللغة : القصد . وفى الشرع : قصد الشيء مقترنا بفعله [٣] . فإن تأخر القصد عن العمل لا

(١) القول السديد في علم التوحيد . الشيخ : محمود أبو دقيقة . تحقيق د. عوض الله جاد حجازي . ج٢ ص١٩٧، ١٩٨ . ط. الإدارة العامة لإحياء التراث . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
(٢) الإحياء . جـ ٣ صـ ٢٧ .
(٣) الإقناع . شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الشافعي . جـ١ صـ٤٧ . ط الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .

يسمى نية ، ولكن يسمى عزماً – وهو الحال الرابع من أحوال خواطر النفس – .

ولأهمية ذلك قال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل إمرئ ما نوى . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله . ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [١] .

وإذا كان إخراج أحاديث النفس بالقول أو الفعل ، يعاقب عليها الإنسان فى أعمال الطاعة ، فلا شك أن الحكم لازم فى المسائل العقدية .

فإذا كانت درجات أحاديث النفس هى : الخاطر ، التردد ، الهم ، العزم ، فإن الإنسان إذا أخرجها بالقول أو الفعل قد تأخذ أسماء وأحكاما أخرى ، لعل أهمها : الوهم ، والشك ، والظن ، واليقين .

وهذه الأحوال أو الدرجات ، وإن كان استعمالها غالبا ، يدل على إخراج ما فى النفس بالقول أو الفعل ، إلا أنها قد تستعمل فى الأحوال الدالة على خواطر النفس .

والناظر فى آيات القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، يجد أن الوهم والشك والظن واليقين ، يدل كل واحد منهم – غالبا – على إخراج ما فى النفس إلى دائرة القول أو الفعل . ولعل آية واحدة من آيات القرآن الكريم ، تدل على وجود هذه الأحكام ، وعلى كونها خرجت من حيز حديث النفس ، إلى حيز القول أو الفعل . يقول تعالى : ﴿ وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا ﴾ [٢] فالقرآن الكريم ذكر أن قولهم فى صلب سيدنا عيسى – عليه السلام – ليس صحيحا فهم فيه بين الشك أو الظن ، دون العلم واليقين ، وبالتالي فهم واهمون فى هذا الحكم . ولا شك أن هذه الأحكام التي حكم

(١) رواه البخاري عن عمر بن الخطاب . كتاب بدء الوحي . باب كيف كان بدء الوحي حديث رقم ١ . الفتح جـ١ صـ ١٥ .
(٢) سورة النساء . آية ١٥٧ .

عليهم بها القرآن الكريم ، كانت بعد إخراج أفكارهم إلى دائرة القول والفعل . ولننظر بعد ذلك إلى هذه الأحوال ، ولنرى هل منها ما هو مقبول فى المسائل العقدية أم لا ؟ .

أولا : الوهم :

الوهم : من خطرات القلب . والجمع : أوهام . وللقلب وهم . وتوهم الشيء : تخيله وتمثله ، كان فى الوجود أو لم يكن . وقال : توهمت الشيء وتفرسته وتوسمته وتبينته : بمعني واحد . والله تعالى لا تدركه أوهام العباد ووهم : غلط وسها . وأوهم من الحساب كذا : أسقط : وكذلك فى الكلام والكتاب [١]

وإذا نظرنا إلى بعض النصوص التي ذكر فيها الوهم ، وجدناها تدل على الإخبار عن شيء على سبيل النسبة المرجوحة ، وتدل على إخراج هذه النسبة بالقول أو الفعل . من ذلك ما رواه الإمام مسلم عن أنس: (... وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا قال : سمع الله لمن حمده ، قام حتى نقول : قد أوهم . ثم يسجد ، ويقعد بين السجدتين حتى نقول : قد أوهم) [٢] وما رواه عن عائشة أنها قالت : (وهم عمر : إنما نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يتحرى طلوع الشمس وغروبها)[٣] .

وأرى – والله أعلم – أن الحكم فى هذه المرحلة ، إذا كان فى مرحلة الاستدلال ، فهو مقبول ، وغير هادم .فهو مثل مرحلة الخاطر أو الوسوسة .

(١) لسان العرب . جـ٦ صـ٤٩٣٣، ٤٩٣٤ .
(٢) كتب الصلاة . باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها فى تمام . حديث رقم ١٩٦ جـ٢ صـ٤٢٦، ٤٢٧ .
(٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب لا تتحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها حديث رقم ٢٩٥ جـ٣ صـ٣٨٠ .

ثانيا : الشك

الشك : نقيض اليقين . جمعه شكوك . وشك فى الأمر يشك شكا . وشككه فيه : غيره [١] .

والشك فى الاصطلاح : هو التردد بين النقيضين ، بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك . وقيل : الشك ما استوى طرفاه ، وهو الوقوف بين الشيئين ، لا يميل القلب إلى أحدهما ، فإذا ترجح أحدهما ولم يطرح الآخر فهو ظن ، فإذا طرحه فهو غالب الظن ، وهو بمنزلة اليقين"[٢].

يقول صاحب البصائر : الشك : اختلاف النقيضين عند الإنسان وتساويهما ، وذلك قد يكون لوجود أمارتين متساويتين عنده فى النقيضين ، أو لعدم الإمارة فيهما .

والشك ربما كان فى الشيء هل هو موجود أو غير موجود ؟ وربما كان فى جنسه ، أو من أى جنس هو . وربما كان فى بعض صفاته . وربما كان فى الغرض الذي لأجله أوجد .

والشك : ضرب من الجهل ، وهو أخص منه ، لأن الجهل قد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا . وكل شك جهل وليس كل جهل شكا . وأصل الشك : إما من شككت الشيء : خزقته . وكأن الشك : الخزق فى الشيء ، وكونه بحيث لا يجد الرأي مستقرا يثبت فيه ويعتمد عليه . ويجوز أن يكون مستعارا من الشك ، وهو : لصوق العضد بالجنب ، وذلك أن يتلاصق النقيضان ، فلا مدخل للفهم والرأي ليتخلل ما بينهما . ويشهد لهذا قولهم : التبس الأمر ، واختلط ، وأشكل ، ونحو ذلك من الاستعارات [٣].

والآيات القرآنية التي ذكرت الشك ، تدل على إخراج التردد بين نقضين ، إما بالقول أو الفعل ، وعدم الاستقرار فيه على أمر . من هذه

(١) راجع : لسان العرب جـ٤ صـ٢٣٠٩ .
(٢) التعريفات . صـ١١٣ .
(٣) بصائر ذوى التمييز جـ٣ صـ٣٣٢، ٣٣٣ .

الآيات قوله تعالى : ﴿ ... وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم ﴾ [١] وقوله : ﴿ فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ... ﴾ [٢]

والخطاب فى الآية الكريمة للنبي – صلى الله عليه وسلم – والمراد غيره ، كقوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ... ﴾ [٣] وكقوله : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ﴾ [٤] والنبي لم يطع الكافرين والمنافقين ، ولم يشرك .

وقوله :﴿ ... قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ... ﴾ [٥] وقوله : ﴿ ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شيء حفيظ) [٦] إلى آخر الآيات الكريمة الوارد فيها لفظ الشك .

ويوجد حديث أورده أبو داود ، فسر فيه " ابن عباس " التردد الذي يحدث فى النفس بالشك ، وهو : (... ثنا أبو زميل قال : سألت ابن عباس ، فقلت : ما شيء أجده فى صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت : والله ما أتكلم به ، قال : فقال لى : أشيء من شك ؟ قال : وضحك . قال : ما نجا من ذلك أحد . قال : حتى أنزل الله عز وجل : (فإن كنت فى شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك) – الآية – قال : فقال لي : إذا وجدت فى نفسك شيئا فقل : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) [٧] . والحديث كما هو ظاهر ، يتحدث عن التردد ، الذي هو من باب حديث النفس ، لا الشك الذي هو التردد بين

---

(١) سورة النساء . من الآية ١٥٧ .
(٢) سورة يونس . من الآية ٩٤ .
(٣) سورة الأحزاب . من الآية ١ .
(٤) سورة الزمر . من الآية ٦٥ .
(٥) سورة إبراهيم . من الآية ١٠ .
(٦) سورة سبأ . الآيتان ٢٠، ٢١ .
(٧) سنن أبو داود . كتاب الأدب . باب فى رد الوسوسة . حديث رقم ٥١١٠.

النقيضين ، بدليل استشهاده بالآية القرآنية التي نزلت فى حق نبينا – صلى الله عليه وسلم – والمراد بالخطاب فيها الأمة – كما سبق – ، أو المراد بالخطاب هنا : أهل الشك ، أي إن كنت أيها الإنسان فى شك مما أنزلنا إليك من الهدى ، على لسان رسولنا محمد ، فاسئل الذين يقرءون الكتاب [١] .

والشك الذي هو التردد بين النقيضين غير مقبول بالمرة في القضايا العقدية ، وهو هادم للإيمان من أساسه .

ثالثا : الظن .

الظن : شك ويقين ، إلا أنه ليس بيقين عيان ، إنما هو يقين تدبر . فأما يقين العيان ، فلا يقال فيه إلا علم . وهو يكون اسما ومصدرا . وجمع الظن الذي هو الاسم : ظنون . وظننته ظنا واظننته وأظظنته : اتهمته . والظنة : التهمة [٢] .

والظن فى الاصطلاح : هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض ، ويستعمل فى اليقين والشك . وقيل : الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان [٣] .

يقول صاحب البصائر : الظن : علم يحصل من مجرد أمارة . ومتي قويت أدت إلى العلم ، ومتي ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم .
وقد ورد الظن فى القرآن مجملا على أربعة أوجه : بمعني اليقين ، وبمعني الشك ، وبمعني التهمة ، وبمعني الحسبان .

فالذي بمعني اليقين فى عشرة مواضع : منها قوله تعالى : ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وظن أنه الفراق ﴾ [٥]

---

(١) انظر : عون المعبود . جـ١٤ صـ١٤ .
(٢) راجع : لسان العرب . جـ٤ صـ٢٧٦٢ وما بعدها .
(٣) التعريفات . صـ١٢٥ .
(٤) سورة البقرة . من الآية ٤٦ .
(٥) سورة القيامة . آية ٢٨ .

وقوله : ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ﴾ [١]
وقوله : ﴿ وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ﴾ [٢] .

وأما الذي بمعني الشك والتهمة ، فعلى وجوه مختلفة . منها قوله تعالى : ﴿فظن أن لن نقدر عليه ﴾ [٣] ، وقوله : ﴿ من كان يظن أن لن ينصره الله ﴾ [٤] وقوله : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ [٥] يعني فى حرب الأحزاب . وقــوله : ﴿ وظننتم ظن السوء ﴾ [٦] يعني المنافقين فى حق المؤمنين .

وقوله : ﴿ إن نظن إلا ظنا ﴾ [٧] يعني فى حقيقة البعث . وقوله : ﴿ وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ﴾ [٨] يعني بني قريظة وحصونهم. والظن فى كثير من الأمور مذموم ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا ﴾ [٩] وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ [١٠] .

ويقال لفلان : فيه ظنه : أي تهمة . وهو ظنتي : أي موضع تهمتي . وبئر ظنون : أي لا يوثق بمائها .ورجل ظنون : لا يوثق بخبره . وهو مظنة للخير . وهو من مظانه . وظننت به الخير : فكان عند ظني [١١] .

---

(١) سورة المطففين . آية ٤ .
(٢) سورة التوبة . من الآية ١١٨ .
(٣) سورة الأنبياء . من الآية ٨٧ .
(٤) سورة الحج . الآية ١٥ .
(٥) سورة الأحزاب . الآية ١٠ .
(٦) سورة الفتح . من الآية ١٢ .
(٧) سورة الجاثية . من الآية ٣٢ .
(٨) سورة الحشر . من الآية ٢ .
(٩) سورة يونس . من الآية ٣٦ .
(١٠) سورة الحجرات . من الآية ١٢ .
(١١) البصائر . جـ٣ صـ٥٤٥ ـ٥٤٧ .

وأرى : أن الظن الذي هو بمعني اليقين ، مقبول فى المسائل الاعتقادية . أما الظن الذي هو بمعني الشك أو التهمة أو الحسبان ، فغير مقبول مطلقا. ويدل على هذا نصوص القرآن الكريم ، والتي ذكر بعضها – والله أعلم –

رابعا : اليقين .

اليقين : العلم وإزاحة الشك وتحقيق الأمر . وقد أيقن يوقن إيقانا : فهو موقن .

واليقين : نقيض الشك . والعلم : نقيض الجهل . تقول : علمته يقينا . وفى التنزيل العزيز : ﴿ وإنه لحق اليقين ﴾ [١] أضاف الحق إلى اليقين ، وليس هو من إضافة الشيء إلى نفسه ، لأن الحق هو غير اليقين، إنما هو خالصه وأصحه . فجري مجري إضافة البعض إلى الكل [٢] .
واليقين فى الإصطلاح : هو اعتقاد الشيء بأنه كذا ، مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا ، مطابقا للواقع ، غير ممكن الزوال . والقيد الأول : جنس يشتمل على الظن أيضا . والثاني : يخرج الظن . والثالث : يخرج الجهل . والرابع : يخرج اعتقاد المقلد المصيب .[٣] .

والفرق بين اليقين أو العلم وبين الظن – مع أن كلاهما نسبته راجحة – أن العلم والظن يشتركان فى كون كل واحد منهما اعتقادا راجحا ، إلا أن العلم : راجح مانع من النقيض ، والظن : راجح غير مانع من النقيض (٤) .

وينكر صاحب البصائر : أن اليقين من صفة العلم ، فوق المعرفة والدراية وأخوتها . يقال : علم يقين ولا يقال : معرفة يقين . وقد يقن الأمر : علمه وتحققه [٥] .

---

(١) سورة الحاقة . من آية ٥١ .
(٢) راجع . لسان العرب جـ٦ صـ٤٩٦٤ .
(٣) التعريفات . صـ ٢٣١ .
(٤) التفسير الكبير . جـ٣ صـ٤٧ .
(٥) راجع : البصائر . جـ٥ صـ٣٩٥ وما بعدها .

لذلك كان تعريف العلم هو :" صفة توجب لمحلها تمييزا بين المعاني لا يحتمل اليقين " (١) .

وهذا اليقين الذي لا يحتمل النقيض ، هو المطلوب فى القضايا العقدية . وهو الواجب على الإنسان تجاهها . والآيات القرآنية التي ذكرت اليقين ، تدل على أنه الشيء الذي لا يحتمل النقيض دون الظن أو الشك . يقول تعالى : ﴿ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ (٢)

النصوص الموهمة لورود الشك فى حق الأنبياء – عليهم السلام – .

الشك الذي هو التردد بين نقيضين ، بلا ترجيح لأحدهما على الآخر ، هو هادم للإيمان ، وغير مقبول فى حق الإنسان العادي . وقد تضافرت النصوص الدالة على وجوب عدم الشك عند المؤمن . ففضلا عن النصوص السابقة يقول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (... أشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله . لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما ، إلا دخل الجنة)(٣) .

ويبين النبي – صلى الله عليه وسلم – أن الشك يهوي بصاحبه إلى النار ، إذا كان فى أي مسألة من مسائل الإيمان . وفى هذا يقول : (إن الميت يصير إلى القبر ، فيجلس الرجل الصالح فى قبره ، غير فزع ولا مشعوف . ثم يقال له : فيم كنت ؟ .

فيقول : كنت فى الإسلام . فيقال له : ما هذا الرجل ؟ فيقول : محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه . فيقال له : هل رأيت الله ؟ فيقول : ما ينبغي لأحد أن يري الله . فيفرج له فرجة قبل النار . فينظر إليها يحطم بعضها بعضا . فيقال له :

(١) المواقف . عضد الدين الإيجي . صـ١١ ط المتنبي . بدون .
(٢) سورة الجاثية . آية ٣٢ .
(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة . كتاب الإيمان . باب الدليل على أن من مات على التوحيد قطعا دخل الجنة حديث رقم ٤٤ جـ١ صـ٢٤٩ .

انظر إلى ما وقاك الله . ثم يفرج له قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها . فيقال له : هذا مقعدك . ويقال له : على اليقين كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله . ويجلس الرجل السوء فى قبره فزعا مشعوفا . فيقال له : فيم كنت ؟ فيقول : لا أدري . فيقال له : ما هذا الرجل ؟ . فيقول : سمعت الناس يقولون قولا فقلته . فيفرج له قبل الجنة ، فينظر إلى زهرتها وما فيها . فيقال له : انظر إلى ما صرف الله عنك . ثم يفرج له فرجة قبل النار ، فينظر إليها يحطم بعضها بعضا . فيقال له : هذا مقعدك . على الشك كنت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى) (١)

إذا كان الشك في العقائد يهدمها ، وهو غير مقبول فى حق عامة الناس . فقد ورد فى حق الأنبياء – عليهم السلام – ما يوهم ورود الشك فى حقهم . فقد ورد فى حق سيدنا إبراهيم – عليه السلام – قوله تعالى : ﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا وأعلم أن الله عزيز حكيم﴾ (٢).

فهذه الآية توهم بظاهرها ثبوت الشك فى حق سيدنا إبراهيم – عليه السلام – لذلك قال بعض الصحابة : شك إبراهيم ولم يشك نبينا . فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – : (نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿ رب أرني كيف تحيى الموتي قال أو لم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي ﴾ (٣) .

وقد ذكر العلماء أسبابا – لسؤال سيدنا إبراهيم – عليه السلام – ربه ذلك . منها :-

(١) رواه ابن ماجه في سننه بسنده عن أبي هريرة . كتاب الزهد . باب ذكر القبر والبلى . حديث رقم ٤٢٦٨ . وفى الزوائد : اسناده صحيح . سنن ابن ماجه تحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقى . جـ٢ صـ١٤٢٦ . ط دار إحياء الكتب العربية .
(٢) سورة البقرة . آية ٢٦٠ .
(٣) رواه البخاري عن أبي هريرة . كتاب أحاديث الأنبياء . باب قول الله عز وجل : (ونبئهم عن ضيف إبراهيم إذ دخلوا عليه) (وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيى الموتى) حديث رقم ٣٣٧٢ . الفتح جـ٦ صـ٤٧٣ .

- إن إبراهيم – عليه السلام – رأي جيفة مطروحة فى شط البحر ، تأكل منها الحيوانات والطيور – فأراد بسؤاله كيفية تجميعها من بطون الحيوانات والطيور . فكان المطلوب من السؤال ، أن يصير العلم بالاستدلال ضروريا .
- أن إبراهيم – عليه السلام – لما ناظر النمروذ ، وادعي إحياء الموتى فأطلق محبوسا وقتل رجلا ، قال إبراهيم : ليس هذا بإحياء ولا إماتة . وعندئذ سال ربه كيفية الإحياء والإماتة ، لتتكشف المسألة عند النمروذ وأتباعه . وبهذا يطمئن قلب إبراهيم – عليه السلام – بقوة حجته وبرهانه .
- إن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم – عليه السلام – أنه متخذ خليلا ، وسأل إبراهيم عن علاماته ، فأخبر أنه يحيى الموتى . فلما عظم مقام إبراهيم ، خطر بباله عله يكون هو الخليل ، فسأل ربه إحياء الموتى : ليطمئن قلبه على أنه هو الخليل .
- إن إبراهيم – عليه السلام – سأل ربه ذلك لقومه . كطلب قوم سيدنا موسى – عليه السلام – منه أن يجعل لهم إلها .
(إجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة) [١] وبذلك يزول الإنكار من قلوبهم .
- أنه أراد الطمأنينة بعلم كيفية إحياء الموتى مشاهدة ، بعد العلم بها عن طريق الاستدلال .
- أنه أراد أن يترقى من علم اليقين ، الذي هو حاصل له ، إلى عين اليقين . أي أنه سأل زيادة اليقين .
- أنه أحب رؤية هذه الحالة ، وتطلعت نفسه إلى مشاهدتها ، كما يحب المؤمنون أن يروا الجنة مع إيمانهم بها ، وبما يقع فيها .
- أنه أراد إظهار منزلته عند ربه في إجابة دعائه . فسأل الله تعالى إحياء الموتى [٢] .

---

(١) سورة الأعراف . من الآية ١٣٨ .
(٢) راجع مثلا : التفسير الكبير جـ٧ صـ٣٤ وما بعدها .. والجامع لأحكام القرآن . أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي جـ٣ صـ١٩٣ وما بعدها . ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م . وشرح النووي على صحيح مسلم جـ١ صـ٤٦١، ٤٦٢ ... وفتح المنعم جـ٢ صـ٢٤١ وما بعدها .

أما معنى قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) ، فلا يمكن أن يحمل على الشك الذي هو التردد بي النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر ، بالنسبة لسيدنا إبراهيم ، أو سيدنا محمد – عليهما السلام – ولكن المعنى الذي يحمل عليه الحديث الشريف : أن الشك ليس متطرقا فى حق الأنبياء – عليهم السلام – ، ولو كان الشك جائزا فى حق إبراهيم – عليه السلام – لكنت أنا شككت أيضا . وقد علمتم أنني لم أشك ، فكذلك إبراهيم – عليه السلام – لم يشك . والنبي – صلى الله عليه وسلم – رجح وقدم إبراهيم على نفسه أدبا وتواضعا .
ويحمل العلماء معنى الأولوية فى الحديث على أمرين . أحدهما : أنه خرج مخرج العادة فى الخطاب ، فإن من أراد المدافعة عن إنسان قال للمتكلم فيه : ما كنت قائلا لفلان ، أو فاعلا معه من مكروه فقله لى وأفعله معي . ومقصوده لا تقل ذلك فيه .

الثاني : أن معناه : أن هذا الذي تظنونه شكا ، أنا أولي به ، فإنه ليس بشك ، وإنما هو طلب لمزيد اليقين [١]
فسؤاله – عليه السلام – لطلب المعاينة ورؤية العين ، لا رؤية القلب لأنها متحققة .

ويذكر بعض علماء اللغة أن ما يأتي على وزن أفعل " أحق " ، ربما جاءت لنفى المعنى عن الشيئين ، كقوله تعالى : (أهم خير أم قوم تبع) [٢] أي لا خير في الفريقين . وكمن يقول :" الشيطان خير من فلان " أي : لا خير فيهما . فمعنى قوله : (نحن أحق بالشك من إبراهيم) أي : لا شك عندنا جميعا [٣] .

والخليل – عليه السلام – سأل ربه أن يريه كيفية الإحياء ، ولم يسأله : هل هو قادر على الإحياء ؟ . بدليل ما حدث منه – عليه السلام – مع النمروذ فى الآية السابقة ، عندما أخبره بقوله : ﴿ قال ربى الذي يحيى

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم . جـ١ صـ ٤٦١ .
(٢) سورة الدخان . من الاية ٣٧ .
(٣) راجع : الفتح جـ٦ صـ٤٧٥ .

ويميت ﴾ [١] والاستفهام بكيف يكون للسؤال عن حالة شيء موجود متقرر الوجود عند السائل والمسئول .

كما أنه مما ينفى الشك عن إبراهيم – عليه السلام – أن الدليل على إحياء الموتى ، ثابت بالأدلة السمعية ، وهو أولى فى حق إبراهيم – عليه السلام – " والشك يبعد على من تثبت قدمه فى الإيمان فقط ، فكيف بمرتبة النبوة والخلة ؟ "[٢] .

كما أنه لا يجوز فى حق الأنبياء الشك – الذي هو بمعنى التردد بين النقيضين – فإنه كفر – والأنبياء جميعا متفقون على الإيمان بالبعث . وقد أخبر تعالى ، أن الشيطان لا سبيل له على عباده الذين خاصتهم الأنبياء : ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ [٣] وقد استثني الشيطان من طوائف من يغويهم المخلصين : ﴿ قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ [٤]

وإذ لم يكن للشيطان على المخلصين سبيل ، فكيف يشككهم بما يخرجهم عن الدين [٥] .

القائلون بوجوب الشك

إذا كاب الشك – كما سبق – يناقض الإيمان واليقين المطلوب فى القضايا العقدية ، فإن البعض ذهب إلى أن الشك هو أول الواجبات على المكلف ، كـ " أبي هاشم الجبائي " حيث قال : " أول الواجبات : الشك ، لأن القصد إلى النظر بلا سابقة شك ، يقتضي طلب تحصيل الحاصل ، أو وجود النظر مع ما يمنعه . إلا انك إذا تصورت طرفي المطلوب ، فإن جزمت به كان حاصلا ، وإن جزمت بنقيضه كان مانعا . وانت تعلم أن

(١) سورة البقرة . من الآية ٢٥٩ .
(٢) تفسير القرطبي . جـ٣ صـ١٩٤ .
(٣) سورة الحجر . من الآية ٤٢ .
(٤) سورة ص . الآيتان ٨٢، ٨٣ .
(٥) انظر تفسير القرطبي . صـ١٩٤، ١٩٥ .

انتفاء الجزم لا يستلزم الشك ، لجواز أن يكون هناك ظن بالمطلوب ، أو بنقيضه ، فيجوز القصد إلى النظر لتحصيل العلم " [١] .

وهذا الكلام مما شنع به على المشتغلين بعلم الكلام . فقد نقل " ابن حجر " عن " القرطبي " قوله : " ولو لم يكن فى الكلام إلا مسئلتان ، هما من مبادئه ، لكان حقيقا بالذم . أحدهما : قول بعضهم : إن أول واجب الشك ، إذ هو اللازم من وجوب النظر ، أو القصد إلى النظر ... ثانيتهما : قول جماعة منهم : أن لم يعرف الله بالطرق التي رتبوها ، والأبحاث التي حرورها ، لم يصح إيمانه " [٢] .

ولا يخفى أن هذه آراء بعيدة عن الصحة ، ولا تلزم المشتغلين بهذا العلم ، وإن قال به البعض ، فقد رد المتكلمون أنفسهم على هذا الكلام بأجوبة ، منها :-

١- أن الشك ليس مقدورا ، لأنه من الكيفيات كالعلم . ولكن المقدور تحصيله أو استدامته . وذلك أن يحصل تصور الطرفين ، ويترك النظر في النسبة بينهما . ولا شيء من الطرفين بمقدمة [٣] .

٢- أن النظر مقيد بوجوب الشك أي كي يكون النظر محصلا ، يجب أن يسبقه الشك . ولكن هناك فرق بين وجوب المعرفة ، وبين كون النظر مقيد بالشك . وما نمنعه هو الثاني . فقد تحصل المعرفة بدون الشك ،

(١) شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي . السيد الشريف الجرجاني . ضبطه وصححه : محمود عمر الدمياطي جـ١ صـ ٢٨٤، ٢٨٥ . ط دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨ م .
(٢) الفتح . جـ ١٣ صـ ٣٦٣ .
(٣) اعترض صاحب المواقف على هذا الدليل ، بأنه لو لم يكن الشك مقدورا ، لم يكن العلم مقدورا ، لأنه ضده ونسبة القدرة إلى الضدين على السواء . ورد صاحب المقاصد : بأن هذا الاعتراض ساقط ، بما اعترف به من أن العلم ليس بمقدور ، وإنما المقدور تحصيله بمباشرة الأسباب . راجع شرح المقاصد جـ١ صـ٣٦ . ويذكر " شارح المواقف " نقلا عن الأمدي " : أن ابتداء الشك ، غير مقدور للعبد ، بل هو واقع بغير اختياره . إلا أن دوامه مقدور ، إذ له أن يترك النظر فيدوم الشك ، أو ينظر فيزول " شرح المواقف جـ١ صـ ٢٨٥، ٢٨٦ .

أما النظر فقد يكون أول درجاته الشك . وهناك فرق بين وجوب النظر وجوبا مطلقا ، والشك مقدمه له ، وبين كون المعرفة واجبة ، ولكن بتقييدها بالنظر .

وعلى الرغم من ذلك فقد ضعف صاحب المقاصد . هذا الدليل ، وذلك لاقتضائه عدم النظر والمعرفة لما سوي الشك ، كالظن ، أو الوهم ، أو التقليد ، أو الجهل المركب . فالواجب فى كل هذه الحالات هو النظر فى الدليل ، ومعرفة وجه دلالته ، ليؤدى إلى العلم . يقول " التفتازاني " : " وثانيهما : إن وجوب النظر والمعرفة مقيد بالشك – لما سبق من أنه لا إمكان للنظر بدونه فضلا عن الوجوب – فهو لا يكون مقدمة للواجب المطلق ، بل للمقيد به ، كالنصاب للزكاة ، والاستطاعة للحج ، فلا يجب تحصيله ، ولما أن إيجاب المعرفة هو إيجاب النظر قال فى المواقف : إن وجوب المعرفة مقيد بالشك ، وإلا فالقول بوجوب الشك ، إنما ينبني على كونه مقدمة للنظر لا للشك " وهذا الوجه ضعيف ؟ " لأنه يقتضي أن لا يجب النظر والمعرفة عند الوهم والظن ، أو التقليد أو الجهل المركب . وفساده بين . ويمكن دفع الوهم والظن بأن الشك يتناولهما ، لأن معناه التردد فى النسبة ، أما على استواء ، وهو الشك المحض ، أو رجحان لأحد الجانبين : وهو الظن والوهم . ودفع التقليد والجهل المركب : بأن الواجب معهما هو النظر في الدليل ، ومعرفة وجه دلالته ليؤولا إلى العلم ، وذلك لأن امتناع النظر والطلب عند الجزم بالمطلوب أو نقيضه مما لم يقع فيه نزاع " [١] .

ولا يخفى أن هذا الكلام : لا يرد على الشك الذي يوصل إلى المعرفة ، أو الشك المنهجي ، وهذا لا نزاع عليه . أما الشك المحض ، أو الشك المذهبي : أي الشك لأجل الشك ، وإن فرضنا أنه مقدمة للنظر الواجب ، إلا أنه ليس من أسباب ليكون واجبا لوجوب النظر ، من باب أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فلا يتعلق خطاب الشارع به .[٢]

(١) شرح المقاصد . جـ١ صـ ٣٦ ، ٣٧ .
(٢) راجع : شرح المقاصد . جـ١ صـ ٣٧ .

ويذكر : الطوسي " فى التلخيص : أن الشك لا يكون مقدورا ، وإن كان مقدورا ، فلا يكون مرادا للعاقل " [١] .

ويرد أستاذنا – د. مصطفى عمران – على القائلين بأن أول واجب على المكلف هو الشك ، بأن هذا المذهب ظاهر الفساد ، وفساده هذا لازم على أصلنا . وعلى أصل المعتزلة – القائل بعضهم به – .

أما على أصلنا فى التحسين والتقبيح القائل : إن الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع ، فلأن الشرع ينكر الشك فى الله ويستقبحه . قال تعالى : (أفي الله شك) [٢] والاستفهام إنكاري ، أي لا ينبغي أن يكون في الله شك ، وإذا كان الأمر كذلك ، فكيف يقال : إن الشك أول واجب على المكلف ؟ .

وأما على أصل المعتزلة – فى التحسين أيضا – القائل : إن الحسن ما حسنه العقل ، والقبيح ما قبحه العقل ، فلأن الشك كفر ،والكفر عندهم قبيح لعينه ، فيكون الشك قبيحاً لعينه ، وإذا كان كذلك ، فلا يكون مأمورا به ، فضلا عن أن يكون واجبا [٣] .

والقول بأن الشك هو أول الواجبات ، غير لازم لمذهب المعتزلة ، بل هو رأي لبعض أفراده ، وإلا فمنهم من رد على هذا الرأي ، "كالقاضي عبد الجبار " حيث يقول : " وليس لأحد أن يقول هلا كان أول الواجبات

(١) تلخيص المحصل . العلامة نصير الدين الطوسي بذيل كتاب المحصل للرازي . مراجعة طه عبد الرءوف سعد صـ٤٧ ط مكتبة الكليات الأزهرية .
(٢) سورة إبراهيم . من الآية ١٠ .
(٣) راجع : محاضرات فى النظر والتقليد . د. مصطفى عمران . صـ٤٦ ط مكتبة الأزهر سنة ١٣٩٦/١٩٧٦ م . ويذكر استاذنا هنا ردا للمعتزلة يمكن أن يوردوه مؤداه : أن المراد من قولهم إن الشك هو أول الواجبات ، هو ما يكون وسيلة إلى المقصود ، فإن العاقل إذا شك يعجل بالنظر ، ويجتهد فى البحث والتأمل . ولا يرضي بالبقاء على الشك . وليس مرادنا – يعني المعتزلة – من الشك ، الشك المقصود لذاته ، الذي هو كفر وقبيح .

الشك ، الذي لا يتم النظر من دونه ؟ لأن الشك ليس بمعني ، ولو كان معني لم يكن مقصودا إليه "[١]

فإذا معرفة القضايا العقدية التي يتطلب فيها اليقين والعلم ، وهو : الاعتقاد الجازم ، المطابق للواقع ، الناشيء عن دليل لا يمكن أن يجامع الظن أو الشك ، أو الوهم ، أو الجزم غير المطابق . فليس واحدا من هذا يسمى معرفة . ويذكر " الإمام البيجوري " – رحمه الله – أن من يتصف بشيء من هذه الأمور الأربعة – الظن أو الشك أو الوهم أو الجزم غير المطابق – فى العقائد ، فليس صحيح الإيمان .[٢] .

ولذلك عندما سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – : (أي الأعمال أفضل : قال : إيمان لا شك فيه ...) [٣] والمراد بنفي الشك ، التصديق اليقيني دون الظني .

(١) المحيط بالتكليف . القاضي عبد الجبار . تحقيق : عمر السيد عزمي . مراجعة د. أحمد فؤاد الأهواني صـ ٣٠ ط الدار المصرية للتأليف والترجمة وانظر له أيضا : شرح الأصول الخمسة . تحقيق د. عبد الكريم عثمان صـ٤٩ . ط مكتبة وهبة . الطبعة الثانية سنة ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م .

(٢) راجع : تحفة المريد صـ٣٦ . وانظر أيضا : الإرشاد . إمام الحرمين ت ٤٧٨هـ تحقيق د . محمد يوسف موسى صـ٥ . ط الخانجي سنة١٩٥٠م .

(٣) رواه الإمام النسائي في سننه كتاب الإيمان وشرائعه . باب ذكر أفضل الأعمال . سنن النسائي بشرح الإمام السيوطي . وحاشية الإمام السندي جـ ٨ صـ٩٤ ط دار الحديث .

الخاتمة

بعد هذه السياحة المتواضعة والمحدودة في هذا الموضوع ، يتبين لنا أهمية العقيدة ومكانتها من الدين وللإنسان .

فيجب أن تكون صحيحة ، وبمنأى عن أي شبهة ، ويجب تعهد الإنسان لها دائماً ، مبعداً نفسه عن أي أمر قد يؤثر فيها ، أو يحاول النيل منها .

ويتبين لنا من خلال هذا البحث ، مدى رحمة الله تعالى ورأفته بعباده المؤمنين ، وتجاوزه عما كانوا مؤاخذين به ، وكذلك رحمة النبي – صلى الله عليه وسلم – بأمته ، والعمل على ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة ، وحضهم على عدم السير خلف أهل الكتاب في الأخذ ببعض الأحكام وترك البعض الآخر .

ويتبين لنا كذلك أن هناك من الوسوسة ، ما يكون خطراً ، يجب الابتعاد عنه ، لأنه ينسف الإيمان ، ولا يمكن أن يجتمعا في عبد ، وهناك مما يوسوس به الشيطان للإنسان ، وقد يظن الإنسان أن فيه هلاكه ، لا يمس حقائق الإيمان ولا أصوله ، ولكنها تتعلق ببعض تفاصيله المتعلقة بالأصول . وقد أخبر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن هذا هو غاية ما يمكن ان يناله الشيطان من المؤمن ، وأن ورود مثل هذه الوساوس علامة على وجود الإيمان في نفس المؤمن .

وكذلك يبين البحث أن ما ورد من وسوسة أو شك في حق الأنبياء – عليهم السلام – ، لا يمكن أن يحمل على معنى لا يليق بهم ، ولا بما ثبت في حقهم من وجوب العصمة .

ويتبين لنا كذلك عدم جواز ورود الشك – الذي هو التردد بين النقيضين – في المسائل الإيمانية ، ولا يمكن أن يكون الشك بهذا المعنى ، هو أول الواجبات على المكلف كما يدعي البعض .

نسأل الله تعالى إيمانا لا شك فيه ، وأن يميتنا عليه ، وأن يبعد عنا وساوس ونزغات الشيطان ، إنه سميع مجيب . وصل اللهم على سيدنا محمد ، النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم . والحمد لله رب العالمين .

أهم المصادر والمراجع

أولا :

- **القرآن الكريم**

ثانيا :

- أباطيل يجب أن تمحي من التاريخ د. إبراهيم على شعوط . ط. المكتب الإسلامي . بيروت . الطبعة السادسة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- إحياء علوم الدين . الإمام أبو حامد الغزالى . ط. دار الحديث . القاهرة . بدون .
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد . إمام الحرمين أبو المعالي الحويني ت ٤٧٨هـ . تحقيق د. محمد يوسف موسى . وعلى عبد المنعم عبد الحميد . ط. مكتبة الخانجي سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠ م.
- الإقناع فى حل ألفاظ أبي شجاع . شمس الدين محمد بن أحمد الشربيني الشافعي . ط. الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية . سنة ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨م .
- البداية والنهاية . الإمام الحافظ إسماعيل ابن كثير ت ٧٧٤ . ط. دار إحياء التراث العربي . بيروت . بدون .
- بصائر ذوي التمييز فى لطائف الكتاب العزيز . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي . تحقيق أ. محمد على النجار . ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .الطبعة الثالثة . سنة ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
- التأملات في الفلسفة الأولى – رينيه ديكارت . ترجمه وقدم له وعلق عليه . د. عثمان أمين . نشر مكتبة الأنجلو المصرية . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد . الشيخ إبراهيم البيجوري . ط. المعاهد الأزهرية ١٤١٥هـ ١٩٩٦م .
- التعريفات . السيد الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ . ط مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٧هـ ١٩٣٨م .
- تفسير القرآن العظيم . الإمام إسماعيل ابن كثير . ط. عيسى البابي الحلبي . بدون .
- التفسير الكبير . الإمام فخر الدين الرازى . ط. دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى ١٤١١/١٩٩٠م .

- تلخيص المحصل . العلامة نصير الدين الطوسي . بذيل كتاب المحصل للرازي . مراجعة طه عبد الرءوف سعد . ط. مكتبة الكليات الأزهرية .
- الجامع لأحكام القرآن .الإمام أبو عبد اللـه محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ . ط. دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م .
- دراسات فى العقيدة الإسلامية والأخلاق . لجنة من قسم العقيدة . الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ١٩٩٩م .
- سنن ابن ماجة . الحافظ أبو عبد اللـه محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة . تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقى ط. دار إحياء الكتب العربية .
- سنن أبي داود . الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني . تعليق الشيخ أحمد سعد على . ط. مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الأولى سنة ١٩٥٢ م .
- سنن الترمذي . أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي . تحقيق وتعليق : إبراهيم عطوة عوض . ط. مصطفى البابي الحلبي . الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م .
- سنن النسائي . شرح الإمام النسائي . ط. دار الحديث القاهرة ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧م .
- شرح الأصول الخمسة . القاضي عبد الجبار بن أحمد المعتزلي . تعليق : الإمام أحمد بن الحسين بن أبي هاشم . تحقيق . د. عبد الكريم عثمان . ط. مكتبة وهبة . ط. أولي سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٥م .
- شرح الجلال الدواني على العقائد العضدية . ط. المطبعة العثمانية سنة ١٣١٨ هـ .
- شرح مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين . سعد الدين التفتازاني . ط. دار الطباعة العامرة ١٢٧٧هـ .
- شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإبجي . السيد الشريف الجرجاني . ضبطه وصححه : محمود عمر الدمياطي . ط. دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٩هـ ١٩٩٨م .
- صحيح مسلم بشرح النووي . حققه وفهرسه : عصام السبابطي وأخرون . ط. دار الحديث القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤ م .

- عون المعبود شرح سنن أبي داود . العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم ابادي . ضبط وتحقيق . عبد الرحمن محمد عثمان . ط. دار الفكر . الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ م .
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري . الإمام ابن حجر العسقلاني . تحقيق : محب الدين الخطيب . ط. دار الريان والمكتبة السلفية . الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ .
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم د. موسى شاهين لاشين . ط. مطبعة الفجر الجديد . بدون .
- القول السديد فى علم التوحيد . الشيخ محمود أبو دقيقة . تحقيق وتعليق: د. عوض اللـه جاد حجازي . ط. الإدارة العامة لإحياء التراث . الطبعة الأولى سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٥م .
- لسان العرب . جمال الدين ابن منظور . ط. دار المعارف القاهرة . بدون .
- المحيط بالتكليف . القاضي عبد الجبار . تحقيق : عمر السيد عزمي . مراجعة د. أحمد فؤاد الأهواني . ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة . بدون .
- المختار من كنوز السنة . د. محمد عبد اللـه دراز . ط. دار الأنصار . الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م .
- المنقذ من الضلال . الإمام الغزالي . تحقيق د. عبد الحليم محمود . ط. دار الكتب الحديثة . بدون .
- المواقف فى علم الكلام . عضد الدين عبد الرحمن الإيجي . ط. مكتبة المتنبي . القاهرة . بدون .

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	رقم الصفحة

■ مقدمة	١
■ شمول علمه تعالى	٢
■ مؤاخذته تعالى بأحاديث النفس أولا	٣
■ درجـات أحاديـث النفس وعفوه تعالى عن أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –	٥
■ الخاطر أو الهاجس أو الوسوسة	٧
■ التردد	٧
■ الهم	٧
■ العزم والتصميم	١٠
■ تقسيم آخر لأحاديث النفس باعتبار الحكم والمصدر	١٢
■ أحاديث النفس في المسائل الإيمانية	١٣
■ أنواع الوساوس في المسائل الإيمانية	١٨
■ القسم الأول : الخطر	٢٠
■ القسم الثاني : الوسوسة	٢٠
■ الحالة الأولى وعلاجها	٢٠
■ الحالة الثانية وعلاجها	٢٢
■ تلبيس الشيطان للإنسان في الإيمان	٢٤
■ تلبيس الشيطان للإنسان وتشكيكه في وجود الله تعالى	٢٥
■ دليل الخلق	٢٩
■ دليل العناية	٣٠
■ الخلاصة	٣١
■ الحالة الثالثة وعلاجها	٣٢
■ النصوص التي توهم ورود الوسوسة في حق نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –	٣٥
■ الرد أولاً : من خلال القرآن الكريم	٣٧
■ ثانياً : الرد عليها من خلال السنة النبوية المطهرة	٣٨

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
▪ ثالثا : الرد عليها من خلال العقل	٣٩
▪ الشك في القضايا الإيمانية	٤١
▪ أولا : الوهم	٤٣
▪ ثانيا : الشك	٤٤
▪ ثالثا : الظن	٤٦
▪ رابعا : اليقين	٤٨
▪ النصوص الموهمة لورود الشك فى حق الأنبياء - عليهم السلام -	٤٩
▪ القائلون بوجوب الشك	٥٤
▪ الخاتمة	٥٩
▪ أهم المصادر والمراجع	٦٠
▪ فهرس الموضوعات	٦٣